رجا عيسى العيسى - محمود الكرمي

يوسف جاد الحق

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ رجا عيسى العيسى

كان الشعار الذي أحبه « رجا » ونادى به خلال عمله في قطاع الصحافة قرابة ربع قرن قول فقيد الوطن والواجب ، مصطفى كامل :
« ليست الحرية بعزيزة على قوم يعملون للحصول عليها ، ويجتهدون في نيلها .. فالصخرة تذوب .. وتتفتت .. بسقوط المياه عليها قطرة .. قطرة ! » . .

ولد « رجا » في مدينة « يافا » سنة ١٩٢٢ وتحدر من اسرة كريمة النبعة ، تميزت بالفكر والادب والسياسة ، ونبغ فيها شوامخ حملوا لواء الشعر والصحافة امثال المرحوم جريس عبد الله العيسى الشاعر الذي اشتهر بتاريخ احداث العالم العربي على حساب الجمل .. وحنا عبد الله العيسى صاحب مجلة « الاصمعي » التي أصدرها في بيت المقدس سنة ١٩٠٨ وعيسى داود العيسى (والد المترجم له) الذي أصدر جريدة « فلسطين » بيافا سنة ١٩١١ بمشاركة ابن عمه المرحوم يوسف العيسى الذي اصدر بدوره جريدة « ألف باء » في دمشق سنة ١٩٢٠ وداود بندلي العيسى الذي أصدر جريدة « البلاد » فيالقدس سنة ١٩٥١ وسعيد جريس العيسى الشاعر المعروف في ادبنا المعاصر.

انهى « رجا » دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة الفرنذ برام الله ونال شهادتها الثانوية سنة ١٩٣٨ ودخل الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٩ وتخرج سنة ١٩٤٢ حاملا شهادة بكلوريوس في العلوم السياسية ودخل جريدة « فلسطين » التي آلت اليه من والده المرحوم عيسى العيسى وظل يعمل فيها الى أن حلت النكبة الفلسطينية الاولى في عام ١٩٤٨ فنزح الى القاهرة وفي عام ١٩٥٠ عاد الى بيت المقدس واستأنف اصدار « فلسطين » الجريدة اليومية التي وهبها قلبه ، ومحضها حبه ، وكتب اغلب افتتاحياتها وزاوية « صباح الخير».
ولقد اشتهرت هذه الصحيفة الكبرى ، التي حملت على اكتافها تاريخا طويلا من النضال القومي ، في السنوات التي صدرت ببيت المقدس (١٩٥٠ الى ١٩٦٧) ورفعت لواء المعارضة في الاردن وجاذبت الفئات الوطنية حبل الود والتعاطف .

وفي سنة ١٩٥١ أسس « رجا » في القدس وعمان وكالة لتوزيع الصحف والمجلات والمطبوعات العربية والاجنبية باسم « وكالة التوزيع الاردنية » ، وتقديرا لكفاءاته ونشاطه الصحفي انتخب سنة ١٩٥٣ نقيبا للصحفيين . وفي سنة ١٩٦٠ زار الولايات المتحدة ودرس دورة في الصحافة بجامعة كولومبيا في نيويورك وحضر دورات هيئة الامم عدة مرات ، كما غطى مؤتمري القمة الاول والثاني المنعقدين في القاهرة والاسكندرية سنة ١٩٦٤ .

نموذج من نثره : وبعد ان اوعزت السلطات الاردنية بدمج جريدة « فلسطين » في جريدة « الدستور » واصدار هذه الصحيفة فيعمان، كتب « رجا » مقالا افتتاحيامؤثرا ، نشرته « فلسطين » في صدر آخر عدد صدر منها بتاريخ ٢١ اذار ١٩٦٧ ، ودونك نصه :

« بيني وبينها رفقة حياة : احلام طفولة ، وعواطف فتوة ، وعزم شباب وسهر ليال .

رأيت النور وهي عنوان للتحدي ، ومنبر للتبصير ، ودعوة للاعداد وشحذ للهمم ، ونداء لمقاومة الغزوة الصهيونية ومؤامرات الاستعمار .

وعرفت الدنيا وهي ملء السمع والبصر ، مثل حي لذلك الصخر الصلد الذي قدمه شعبنا . فعاشت ـ كما عاش ـ في استقبال واجتياز المحنة اثر المحنة عبر ذلك التاريخ الذي كتب لفلسطين واهلها .

وكانت لي مدرسة حياة ، تعلمت فيها من والدي واستاذي ، كيف يكون الصمود ، وكيف يقاوم المرء ويتحمل . وكيف تعيش اماله ومثله رسالة فيه ، وكيف يعيش هو من اجلها . فصارت المهنة جزءا من نفسي، وصارت الدروس التي تعلمتها دما يجري في عروقي ، واصبحت الصلة بيني وبين « فلسطين » طابع حياتي ومعنى ايامي .

واتاحت لي صلتي بها ان اتتلمذ ، واعرف عددا من رجال الفكر والقلم ، تولوا العمل فيها ، واعانوا صاحبها على حمل المشعل ، فاستحقوا جميعا الشكر والعرفان. وكان لهم الفضل في انني استطعت، من بعدهم ، ان احمل الراية ، واسير في الخط وعلى الخطى ، وكان ذلك منذ ربع قرن .

وتمضي الايام ، وفي كل يوم منها مؤامرة على الوطن ، ، وتجيء النكبة وتسقط يافا الجبارة ، وتخرج « فلسطين » من دارها كما اخرج اهل فلسطين .. وفيما بينهم عهد على العودة .

وتنتقل « فلسطين » الى هذا الجزء العزيز من الوطن . فتصدر في القدس الجريحة اقرب ما تكون الى الارض التي استبيحت من الوطن . وتمضي تؤدي الرسالة : دعوة الى الصمود ، والبذل ، والاعداد ، من اجل ان نعود .

شريط من تاريخ طويل يمر في الذهن اليوم ، يذكر فيه المرء ويتذكر : يذكر ان « فلسطين» قد اوقفت في الحرب العالمية الاولى ، وان صاحبها نفي الى الاناضول . ويذكر ان « فلسطين » قد توقفت عن الصدور في اول النكبة.

ونقف اليوم لنودع القراء لان فلسطين ستحتجب عنهم ، فنشكر لهم ثقتهم ، ونطوي في سويداء القلب تلك المحبة الغالية التي ربطت بينهم وبين جريدتهم ، ونعاهدهم على ان الحنين الى الديار سيبقى تصميما على العودة ، وان العمل من أجل ذلك سيبقى واجبا مقدسا .
لقد تشرفت « فلسطين » بانها حملت اكرم اسم ، وشرف الله « فلسطين » بانها اسهمت بجزء من جهاد شعب فلسطين ، وانها سجلت تاريخ ذلك الجهاد .
هذا الشرف لن ننساه .
ولن ننسى ان ايامنا ستظل دون معنى ، حتى نعود وتعود ! » .

٢ ـ محمود الكرمي

ولد في طولكرم الفجيعة بمثلثها المسلوخ (عام ١٨٨٩) واتم دراسته فيها وقصد القاهرة مع شقيقه المرحوم احمد شاكر وانتسبا معا للازهر ، وبعد تخرجه عين استاذا للغة العربية في مدرسة القناطر الخيرية الاسلامية ثم في كلية مصر ، وكان يختلف الى دار العلوم احيانا .

ولمعت شرارة الحرب العالميةالاولى فانقطعت به وباخيه وسائل الاتصال باهليهما فكان عليهما تامين عيشهما ، فعمل «محمود» بالاضافة الى التدريس في تهذيب لغة الروايات التي كان يمثلها سلامه حجازي وتشكيلها وتصحيح نطق المثلين . وما لبث « محمود » ان بارح مصر

الى مصوع (الصومال) حيث درس اللغة العربية ، وعندما سكنت نامة الحرب عاد الى دمشق وعين مفتشا لمعارف حوران فمديرا لمدرسة الملك الظاهـر بدمشق .

ولما استتب الامر للفرنسيين ، وكان والده المرحوم الشيخ سعيد الكرمي قد بارح دمشق الى عمان ، لحق محمود بوالده وعين مديـرا لثانوية السلط فمديرا لثانوية عمان .

وفـي عام ١٩٢٦ استقال مـن عمله الحكومي واسس حانوتـــا وصيدلية في عاصمة الاردن واصدر بالاشتراك مع كمال عباس جريـدة باسم « الشريعة » وقد صدر العدد الاول منها في ٢٥ حزيران ١٩٢٧ وسرعان ما زجت به السلطات البريطانية في السجن بتهمة الاشتراك في جمعية « الكف الاسود » .

وفي صيف عام ١٩٢٧ اجتاح الزلزال مدن سورية وفلسطـين والاردن غاضت الصيدلية في الانقاض وسرق الحانوت و « محمود » قيد السجن ولما أفرج عند شد الرحال الى فلسطين وعين مدرسا للعربيـة في المدرسة الرشيدية بالقدس ثم في ثانوية غزة . وفي عام ١٩٢٩ وهو عام الثورة الفلسطينية العنيفة التي قام بها الشعب الفلسطيني ضـد الانتداب والصهيونية اتهمته السلطات البريطانية بنظـم الانـاشيد الحماسية وتلقينها الطلاب فنقلته مدرسا الى ثانوية الخليل ولبث هناك مدة خمس سنوات . ولم يستطع ان يفصل بين عمله كمدرس وبـين واجبه الوطني في التوعية والعمل السياسي فنقلته السلطات الـى « الصلاحية الثانوية » في نابلس وفي عام ١٩٣٦ نشبت اكبر ثـورة قام بها الفلسطينيون ذودا عن عروبة موطنهم فاسهم « محمود » بهـا وتعاون مع الكثيرين من رجالات البلاد على تغذيتها .

ولما رأى الثورة قد انحرفت عن هدفها الاسمى واخذت في ازدراد ابنائها بأسلوب الاغتيال السياسي ، وقف من هذا كله موقف المعارض واضطر لان يغادر فلسطين الى بيروت ومن هذه اخذ في مخاطبة قومه على صفحات الجرائد وتنبيههم الـى ما يبيته الخصم مـن مؤامرات ودسائس لاشاعة الفرقة في صفوفهم .

وفي صباح ٢٥ كـانون الاول من عام ١٩٣٩ اغتالـه خصومـه السياسيون ونقل جثمانه من بيروت الى طولكرم مسقط رأسه .

نموذج من نثره : « حسبي من هذه الحياة ان ارى فيك شخصي الثاني في كل ذهبة وجيئة وان اشعر بوجود قلبي أنى دببت .

وقد احببت ان اوصيك وصية تنفعك في حياتك قبل تطرق الوهم اليـك .

بلوت حلو العيش ومره ، فاذا الحلو أمر من المصاب او هـو كالذرة عند الكيميائيين . يا بني ان كل من ترى في هذا المحيط اما مسخر يؤدي عمله بأيةطريقةولو بالغش والمخاتلة ، واما متصيد في الماء المطور ، وان نظرت الى ما يحيط بك من اوضاع والقاب واخـذ ورد وتحوير وتحويل ومحو واثبات تجده مظاهر كاذبة هي اشبه شيء بالمرئي في الحلم لا يلبث ان يتبدد عند انبثاق الفجر وليس انبثاقه بقريب .

اما ما أراه في هذا الليل الدامس مـن الخرافات والشعـوذة والحبائل ، وما اسمعه من الاماني والتغني بالحب واشعار الصبابـة والوجد كله وهم باطل نشأ عن هذه الظلمة التي حجبت الحقائق عن الابصار فاصبح كل يرى وهمه عقيدة ثابتة ، ولو اسفر الصبح لمبصـر لظهر الحق وزهق الباطل .

يا بني سيمر بك من تلك الخيالات في هذه الحياة، حياة المخازي الشيء الكثير فلا تحفل به وحاذر ان يخدعوك ، واعتقد أن الفريق ان افادته لجة الماء استفدت انت من هذه المظاهر .

لا تكن في حياتك القادمة وطنيا تقول كما يقولون ولا شاعرا يقرض كما ينظمون فان هذين الوصفين قد كثر المدعون بهما وتعذر معرفة وجه الصواب فيهما فاخشى عليك ان انت سرت في طريق يوصل لاحدهمـا ان تقع في الهوة مع المتملقين والمتشدقين . على اني ارى الوطنية هـذا النفر من الخلق شراكا يصطادون به عيشهم من طريق الخسة والدناءة ولم اجد فيهم ولا ممن يدعي هذه الصفة من وقف عقله ، وحبس ماله على خدمة امته ، اللهم الا افرادا قليلين ، وهم قليلون جدا تراهــم يضيئون احيانا من جوانب هذه الظلمة الحالكة فان حاولت ان تتعرفهم لن تقف لهم على اثر ، ذلك لانهم لا يحبون ان يعرفوا اولئك الذيـن عقيدتهم (ان من يتسامح بحقوق امته ولو مرة واحدة يعيش سقيـم الوطنية مريض الوجدان) . وارى انك لو اردت ابتياع قوت يومك بكل الشعر في هذا العصر عصر القرش لما وجدت ولو احسانا وتظل طائـرا في جو الخيالات الى ان تسقط من جوعك .

يا بني لا تكن كاتبا فتكون احد رجلين ، رجل انفق كل عمره ومـا لديه من نشاب فوقف على سر هذه الصناعة الجميلة ، واخر خبط في طريقه فضل سواء السبيل فهو كريشة في زوبعة ، لا تعرف له وجهـا ولا مستقرا ، فان كنت الاول لازمك الفكر والفقر ولم تجد من بـين هذه الطغمة مقدرا ، وان وجدت فلا يغني عنك شيئا ، على انك لا تجد الا في الخيال .. وان كنت الثاني فالمصيبة اعظم . دعوى وختل ونقل وسرقة وانتحال وما أغناك عن كل هذا .

ولا تكن معلما كابيك فتعيش في هذه الايام مستثقل الظل متهمـا الفاظة ، مطعونا في ادبك وعقلك . وانك ان توفرت على دراسة النفس وخطط التعليم زاحمك على صناعتك حامل السيف وصاحب المدفـع ورافع الهراوة التي يسمونها قلما ، ومن المتطفلين والمتنطعين والخابطين خلق كثير ، حتى انك لترى الان ان هذه الصناعة اصبحت مركـزا للعجزة وموئلا للكسالى وناديا للجاهلين ومن الصعب ان تتعرف نهجهـم او ان تتحسن نياتهم كما انه يصعب عليك ان تحلب في انائهم فتظـل بين هؤلاء لقى معذبا هجينا.

ولا تكن صحافيا في بيئة مستعبدة او ان تعتمد في امر معاشـك علـى جريدتك فتنشأ جبانا او صريعا او غير ثابت العقيدة وكلهم فـي الذوق لا يعذب .

واحذر ان تكون حاكما يتطرق اليك الحزق من حيث لا تدري ، اذ يلتف حولك نفر يزعمون انهم مخلصون لك فيحسنون القبيح ويزينـون الفاحش ، وينصبون بحيلهم حبائل يجرون بها النار الى اقراصهــم وينشرون امام عينيك سترا كثيفا يخفي عنك الحقائق فتسير في عملك على غير هدى فلا تعد اعداءك ، ولو حاولت تبديلهم خيرا منهم واشرف قصدا ، فلن تستطيع الى ذلك سبيلا لان الذين يندسون في حواشـي الحكام ، وهذا الاوان ، كلهم على ما وصفت لك ، فليس فيهم « من فتى مطيع » اللهم الا اذا أوتيت بصيرة خالصة من الشوائب في هذا المحيط الذي لا يلقح مثلها .

واني أحاذر عليك ان يغرك قولهم ، الطبيب خادم الانسانية يخفف ويلاتها ، فلو كنت طبيبا عشت أسيفا ومت عبيطا او عشت طويـلا ولكن كقاطع طريق فاقد الشعور .

واحذر كل الحذر ان تكون سياسيا فتشب وانت عقيم الصدق ، ودود لعدم الوفاء ، تعيش طماعا متملقا قاسيا محتالا واعيذك ان تكون كالثعلب المتنمر يقطع طريق السابلة لا يبالي من اين اتاه رزقـه ، ولا يعرف له لون ولا يظهر له غرض واني افضل ان تكون محاميا يكيـل الهواء جزافا لا تهمه خدمة الحق ما دام كالمنشار انتفاعا ، على ان تكون سياسيا وانت تعلم اني لا ارضى لك واحدة من هاتين النقيضتين .

واياك وما يسمونه المدنية الحديثة فتتخطى اكداس القتلى وتخوض انهار الدم وراء شرهك وتكون وحشا بصورة انسان . فان ساومك احد على ان تكون متمدنا بهذه المدنية التي ظهر اثرها في العشرة اعـوام الماضية فارجع الى صحرائك وناقتك وانشده قول جدتك : ولبس عباءة وتقـر عيني ...

فان اردت يا بني ان تعيش في هذه الحياة حياة المنافسة والتنازع، عيشة الشريف الحر ، بعيدا عن كل هذه الدنايا . فكن يا بني عالمـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. عاملا ! »» .

٣ ـ يوسف جاد الحق

كان الشعار الذي اختاره « يوسف » وظل يردده ويتغنى به القول البليغ : « ان ارواح الرجال الاحرار لا يقتلها الرصاص ! » .

ولد «يوسف» سنة ١٩٢٩ في قرية «يبنا» الواقعة جنوبي مدينة يافا بفلسطين وشهد ، منذ وعى احداث الحياة ، المظالم التي صبها الاستعمار البريطاني البغيض على شعبه في كل ثورة شب لظاها على ثرى الارض المقدسة الطهور . ولقد تركت فظائع الانكليز انطباعاتسيئة لم تمحها الايام من نفسه ، وخلفت تلك المآسي أثارا بشعة ما برحت ماثلة امامه ، منذ انرأى بام عينيه عددا من ذوي قرباه مجندلين بحراب الانكليز ، وشهد ، كما شهد جيله ، ذروة المأساة العربية سنة ١٩٤٨ وخروج العرب الابرياء من فلسطين اذلاء صاغرين !

كل هذه المآسي المروعة تركت مياسمها في قلبه ، فاقبل على « القصة » يصور بها تباريحه وشجونه ، وينفس بها همومه والامه ، وفي مجموعة قصصه الاولى « اشرقت الشمس » صور منهذه التلاوين!

بعد النكبة الاولى لجأ « يوسف » الى دمشق محاولا ان يدفن في مغانيها وشعابها ندوب قلبه ، لكن شبح المأساة الرهيبة ظل يلاحقه ... ويذكره بوطن مغصوب وشرف معطوب ، وشعب مغلوب ، أفزعته المجازر الدامية فاكرهته على النزوح .. حفاظا على (العرض) الذي يتفانى العربي في الذب عنه ، والحرص عليه ، وطفق يصور اهاته وزفراته على القرطاس بقصص واقعية ، لحمتها التشرد والفراق ، وسداها المذلة والاستجداء ، ولم ينس ان يصور في بعضها بطولات شعبه الجبار ، وصموده في وجه الرصاص والحراب !

وقام « يوسف » برحلات الى بعض الاقطار العربية والاوروبية ، وراح يشرح الظلامات التي حلت بساح شعبه النابه الواعي ، وكانت سببا في تشرده وذله وهوانه ! واقبل على الصحافة يفرج بها هموم قلبه ، وينشر مقالات سياسية واجتماعية وادبية ، ويبث عشرات الاحاديث القومية والتوجيهية من اذاعات « صوت العرب ودمشق والقاهرة » ، ويقدم عددا من التمثيليات الفلسطينية للتلفزيون بدمشق.

واشترك « يوسف » في المؤتمر الاول لاتحاد الكتاب الفلسطينيين سنة ١٩٦٧ كما اشترك في المؤتمر السادس للكتاب العرب المنعقد في القاهرة سنة ١٩٦٨ وفي المؤتمر السابع المنعقد في بغداد سنة ١٩٦٩ .

وبعد ان استقر في دمشق واصل دراساته الخاصة في الادب والسياسة والاجتماع والتحق بقسم اللغة الانكليزية في كلية الاداب بجامعة دمشق .

من آثاره القلمية : عالج « يوسف » القصة القصيرة ، وحلق فيها ، وكرس اغلب نتاجه لتصوير ماساة الامة المشردة التي تحدر منها، وقد عرفنا من اثاره المطبوعة :

١ ـ أشرقت الشمس (مجموعة قصص فلسطينية) (١٩٦١) .
٢ ـ النافذة المغلقة (مجموعة قصص بينها قصص فلسطينية) (١٩٦٤) .
٣ ـ اضواء على المؤامرة الكبرى (١٩٦٥) .
٤ ـ المصير (١٩٦٦ (.
٥ ـ سنلتقي ذات يوم (١٩٦٩) .

نموذج من نثره : « الريح تعوي كذئب جائع .. اغصان الاشجار تئن انينا مفجعا .. العيدان الغضة تتقصف تحت وطأة الريح العاتية .. الظلام يسربل الكون برداء سميك .. وفي السماء تختفي النجوم وراء الغيوم الكثيفة واحدا اثر اخر ، فتبدو الدنيا كتلة من الظلمة الفاحمة.

همست في اذن احد الرفاق بقلق :

ـ ما اسوأ الطقس الليلة !

رد رفيقي همسا ولكن بحزم :

ـ هذا هو الطقس المناسب لعملياتنا !

قلت في خشية وانا اضم ياقة معطفي حول رقبتي :

ـ ربما يسقط المطر !

قال باقتضاب ، كانما يريد ان يحملني على الصمت :

ـ لن يكون هذا اسوأ ما قد نلقي !

لذت بالصمت من جديد ، اجابات رفيقي لا تشجع على مزيد من التساؤل ، الرفاق الاربعة الاخرون يسيرون من امامي واحدا وراء الاخر، مغرقين في صمت ثقيل يضفي على الجو المكفهر مزيدا من الوحشة الكئيبة .. لا صوت لوقع اقدامنا في دوامة الرياح كاننا اشباح تخترق الظلام ! بيارات البرتقال على جانبينا ينطلق عبيرها رقيقا حنونا ينداح في صدورنا ، يتغلغل في دمائنا ، قشعريرة تسري في جسدي .. تهز كياني .. ها نحن نلتقي اخيرا يا ارضنا الحبيبة .. اليوم تستقبلين الطلائع من ابنائك .. قلة هم اليوم .. ولكن غدا تتدفق الجموع ... ندخلك اليوم تحت جنح الظلام ، وغدا سوف نأتيك في وضح النهار ، والشمس تسطع في الافق ، تمسح بشعاعها ارضك والسماء .. كانما تعرفنا اشجار البرتقال .. تحيينا .. ترحب بمقدمنا .. كانها على موعد معنا .. واثقةمن عودتنا، تتشامخ اغصانها نحوالسماء .. اعتزازا بالعائدين من اجل فك اسارها . حتى الارض تعرفنا .. النهر والجبل .. والزرع والشجر .. ويقول الاعداء اننا متسللون .. قطرات المطر تزداد ثقلا ... اصبح لها وزن وحجم بعد ان كانت رذاذا .. رائحة التراب تفوح ندية تبعث النشوة والدفء ! « في الشتاء تتعقد الامور اكثر فاكثر بالنسبة لعملياتنا ! » .

هكذا قال قائدنا قبل الانطلاق من القاعدة « ولكن هذه التعقيدات في صالحنا » في مثل هذه الظروف الطبيعية القاسية تصبح اسباب النجاح اكثر توفرا ، واضمن نتيجة .. سوف تلاقون بعض الصعاب ، ولكن كما تعلمون ، لكل شيء ثمنه في هذا العالم .. تلك هي سنة الحياة !

أشد ياقة معطفي .. الريح الباردة تلسع كسياط جليدية .. الطريق يتحول الى وحل .. اقدامنا تغوص في تربة لزجة .. لا بد من مجهود اضافي لاقلاعها في كل خطوة ، في مثل هذه الليالي كنا ننعم بالدفء حول المواقد نحتسي الشاي ، ونحرق اصابعنا بشي الكستناء ، وجمع من الرفاق يدلي بمختلف الاراء والنظريات . الجدل يطول ... يتحول الى سفسطة .. الى مشادة .. لست اذكر من منا قال : « ان طلقة واحدة تمزق الفضاء فوق ارضنا لاجدى من كل نظرياتكم ! » .

امي تجلس الان امام الموقد تنقل الجمرات بملقط اسود ، تزيح الرماد ، على محياها سيماء شرود حزين ، تستعيد ذكريات طفولتي ، وتندد بعنادي الذي ورثته عن ابي ، وهي تعرف اني لم اكن كذلك ، قالت اخر مرة :

ـ ليست هذه العمليات نزهة خلوية يا سامي .. وانت لم تعتد هذا الشقاء ، انت تعودت الراحة و ...

قاطعتها صائحا بعد ان ضقت ذرعا بمحاولاتها في ثنيي عن اللحاق بهم :

ـ لقد سئمت الراحة يا سيدتي .. ومن قال لك انني لا اتوق الى هذا النوع من الشقاء ؟ ثم اية راحة هذه التي تعنين .. وفي اعماقي بركان يتفجر .. يتدفق حقدا يزلزل كياني ويحيل سعادة الراحة التي تتصورين الى سعير اتلظى بناره ؟

الرعد يقصف ، البرق يخطف البصر .. الريح تكاد تقتلعنا .. المطر .. آه لو تسكن الريح ويكف المطر .. الطبيعة ثائرة هي الاخرى .. اترى .. هل اغتصب لها احد ارضا ؟

القافلة الصغيرة تسير مغرقة في الصمت .. قائد المجموعة في المقدمة .. اذاننا بانتظار الاوامر .. عيوننا تحاول ازاحة الظلمة ترقبا لاشارة ، لكنه يمضي صامتا ونحن من خلفه ، الصمت جزء من خطتنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحدد له المواقيت !

قالت الجارة لامي وهي تومىء الي :

ــ ان ابنك هذا .. من يومه لعنيد !

وقبل ان اتمكن من الرد عليها قالت امي في صوت يمازج اليأس فيه الرجاء :

ــ اليست دراستك اولى يا سامي ؟

ــ الدراسة تستطيع ان تنتظر يا امي ، اما القضية فلا تتحمل الانتظار .. عشرون عاما الا تكفي ؟

قالت الجارة في ضيق :

ــ لكل سؤال جواب .. بارع في الرد .. نحن نعرفه !

قالت امي وكانما وجدت في جارتها حليفا يشد من ازرها في هذه المحنة :

ــ هي شهور قليلة يا بني تنتهي فيها دراستك ثم لك ان تفعل ما تشاء !

ــ صديقي احمد عبد الرزاق يا امي ، يوم صرعه الاعداء .. هل انتظروا الى ان يتم دراسته ؟ ام انتظروا عبد الله درويش وزوجته واولاده ليتموا تناول فطورهم يوم المذبحة ؟ ام انتظروا الى ان تستقر جرعة الحليب في جوف الطفل حامد . الم يمتزج حليب امه بنجيع دمه يا اماه ؟

اقدامنا تغوص ... المطر يزداد انهمارا .. الريح تهدر .. ومیض البرق يمسح الافق ، يبدد العتمة لحظات خاطفة .. ثم يسود الظلام اكثف مما كان .. الرعد يقصف ، يضبط ايقاع المطر !

ــ انت بعد صغير يا سامي !

ــ يا ام حامد .. اتؤمنين حقا بما تقولين ؟ انا صغير حقا يا ام حامد ؟ تسعة عشر عاما .. الم تسمعي بالتجنيد الاجباري ؟ الم تسمعي بتجنيدهم الفتيات دون السادسة عشرة ؟ من يحارب اذن يا سيدتي ؟ من يحقق لكن احلام العودة ؟ ام تنتظرن ان يتحرر الوطن بمحض الاماني ودعواتكن الصالحات ؟

خبطت ام حامد على صدرها وهي تشهق :

ــ يا لندامتي .. اتسمعين يا ام سامي ابنك المسحوب من لسانه؟

صفقت الباب من خلفي وخرجت الى الشارع وانا اكثر تصميما من اي وقت مضى !

لكانما حدث ذلك منذ سنين .. مواقف لا احب حتى مجرد تذكرها ، ايختلف اثنان على الفداء من اجل التحرير ؟ ايختلف احد على الفارق بين حياة هي الموت وموت هو الحياة ؟ قبل هذه الرحلة كنت احس في اعماقي انني لست الا طفيليا يعيش على هامش الحياة ينتظر ان تقع معجزة ما تحقق الامال بلمسة سحرية تاتي من وراء حجب الغيب ... ولم تقع المعجزة على مر السنين .. أيقنت اخيرا ان علي ان اصنعها بيدي .. الان امارس الحياة فوق ارضي .. وسط دوامة الاعاصير .. بين عصف الرياح وهدير الرعود .. تحت وابل المطر والرصاص والقنابل .. اتحسس الخطر مع كل خطوة ... يترصدني الموت في كل لحظة .. معنى ذلك انني احيا .. انا في خطر اذن فانا حي حسب المنهج الديكارتي .. حتى هنا لا تعفيني الفلسفة .. وحتى ولو مت فانا شعلة تضيء الطريق لمواكب القادمين من بعدي .. اتحسس الرشاش ... احتضنه كصديق حميم بقلب يخفق ودا .. انت عوني ووسيلتي لتحقيق املي .. اقدامنا تغوص في الارض الموحلة !

هناك في هذه اللحظات في المقاهي والمقاصف حيث تجتمع الشلل تحت اضواء النيون ، بين سحب الدخان الفاخر ، يستمتعون بالدفء فيما هم يتبادلون الانخاب ، كأنهم منتصرون ، يضحكون ويمرحون ، يتحدثون عنا ، يتجادلون حول جدوى عملنا ، وهل اخطانا في هذه العملية او تلك ام اصبنا ؟ وهل نستحق اللوم ام الاعجاب ؟ ينصبون من انفسهم في مواقعهم تلك قضاة وحكاما وخبراء عسكريين .. يتشدقون .. يتفلسفون .. تتفجر الحكمة من افواههم !

كلا لست متعبا ولا ساخطا .. لم اشعر يوما بسعادة كهذه التي تجتاح كياني .. البرد ؟ كلا فالدماء تتدفق ساخنة في عروقي ، متفاعلة مع الحقد ... المطر ؟ المطر المنهمر من سماء بلادي هو عطر سماوي تستحم به نفسي .. الرعد ؟ هو نشيد ملائكي يعزف انغاما حلوة تنساب في اعماقي !

« عائدون » ترن في اذني وسط نشيد الطبيعة الصاخب .. هذه اولى خطوات العودة .. ها نحن نعود يقينا لا حلما !

كلب ينبح .. صمتا ايها اللعين ..

توقف رفيقي امامي فجأة لتوقف الجميع عن السير ! قلت لصديقي هامسا : أطلق عليه رصاصة صامتة ؟

ــ لا .. هناك من هو اولى برصاصتك .. لا تضعها في جسد كلب لم يؤذك ، ثم ان الكلب امين لا يعرف الغدر ولا يخون .. ربما استطعت استئناسه بكسرة خبز ، ان انت احسنت اليه فلن يعضك ، اما هؤلاء فكم احسنا اليهم فكان الجزاء ان اشبعونا عضا ونهشا !

صمت الكلب .. القافلة تستانف المسير .. خطوات معدودات عاد بعدها الى النباح .. وباذن خبير حدس قائدنا موقعه في الظلمة ، فرمى بشيء نحو البيارة عن يميننا .. همهم الكلب وغمغم ، ثم اختفى صوته وهو يعدو بين الاشجار متلاشيا بين حفيفها المتماوج مع الرياح !

اضواء خافتة تبدو في الافق البعيد .. توقفنا مرة اخرى .. تحلقنا حول القائد .. قال في صوت خفيض : اصبحنا على مقربة من الهدف .. العملية تستغرق عشر دقائق .. كل يعرف مهمته ... بعد التنفيذ نلتقي في هذا المكان !

توزع الرفاق .. ابتلعهم الظلام والمطر .. وتوشحوا بالعاصفة .. ضوء الكشاف يمسح الفضاء .. خيوط المطر تمتزج مع الضوء .. علموني ان احبو خلف الضوء وعند عودته عكس الاتجاه انبطح ارضا ريثما يتجاوزني ثم يعود .. فاعود الى متابعته .. الوحل .. رائحة الطين .. العشب المبلل بالماء .. امتار بيني وبين الهدف ، امتار قليلة لكنها اطول من الرحلة كلها .. وميض خاطف .. ذاك هو الجدار .. السلك الشائك .. عائق تقليدي .. المقص .. لن يسمع الحراس .. زخ المطر يحجب الصوت حتى عن اذني .. في المكان المناسب تماما .. اللغم تحت الجدار .. سيتطاير المبنى بعد لحظات .. عشرات سوف يصابون فهذا مركز قيادة .. انا الان اصنع الموت لهم .. ستقول اذاعتهم غدا ان احدا منهم لم يصب باذى !

عودة الى السهل نحو البيارات .. الطين يزداد لزوجة .. الماء يغمر كل شيء كانني اسبح في بحيرة .. آه لو يسكت المطر .. بعد ثوان تتفجر الالغام .. حتى لو ارعدت السماء في ذات اللحظة فسوف اميز صوت الانفجار .. لن تخطئه اذناي .. لن تخطىء وميضه عيناي .. سينبعث الوميض من الارض هذه المرة وليس من السماء .. حسبوا يوم هاجروا الى ارضنا واغتصبوها ان سيناموا ملء جفونهم ملء جفونهم وان سننام .. لن ننام .. ولن يناموا !

وميض ازرق يمسح الافق .. انفجارات تتلاحق ، اصوات الرشاشات تهدر .. يصاحبها عصف الرياح وهدير الرعود !

وفي الظلمة الفاحمة كنا اربعة .. نسير صامتين .. وبقي هناك « ابو نضال » .. كل قوى الارض لن تقدر على ان تجعل منه لاجئا مرة اخرى .. عائد اخر ، تحت السحاب ، ينام قرير العين فوق ثرى ارضه!

عمان ــ الاردن

البدوي الملثم

اصـــداء

بقلم اديل الخشن

★

أيها المتلفت الي بعينين غائمتين ،
على مشالح هذا الغيم اركض اليــك ،
في بصيص الضوء أترقبك ،
ايها الرجل الاندر في الرجال .
انا ملقاة على فراش الوحدة ،
وهذه الكآبة التي تمطرها سماء لندن أحبها ،
انهـا تريحنـي ،
تجنح هذه الرقة الهامية كالغيث في اعماقي
فأنا لا اطيق الفرح بعيدة عنك .
هذه السماء الرمادية تكم أنفاس الشمس
تفرقها في غيبوبة قاتمة ،
وفي نفسي تتفتح ازهار الشـوق !
كم انا تواقة لاضمك الي ،
لآخـذ بيـدك
واحس اتقاد النار في كهوف الصقيع !

تعـال الآن ...
معك اذيـب الثلـج
معك تنهار اسوار المسافات
تعال لارتـاح على سـاعديك
همسـات عبادة وشفاه صلاة !

شوقي متشعب وطويل كخطوط
هذا ال « اندر كروند » المزدحم
لم يعجبني الاوتوبيس ، ذو الطابقين .
المختال في شوارع لندن السوداء
انا بعيدة عنك و « المترو » الحزين اكثر حميمية
وكامرأة عربية ، بلادها تلتحف الغيوم والظلام
اجدر بـي أن اتجول تحت الارض !

انا وال « هيد بارك » صنوان .

هذه الجنائن الفسيحة مملوءة بالفراغ
تئن تحت اسواط الخريف
وتزفر بردا وغماما ،
كل ما شاهدته هناك مقاعد مقلوبة ...
وحمامة حزينـة ،
تقبع تحت اغصان عاريـة ،
ما آنس هذه الصحـراء
لمن يحمل في نفسه صحراء مثلها !

قلت : « ارحلي وحدك يا حبيبتي ،
دعيني ابتدع رؤى جديدة
واجمع لك من زهور الدراق وسادة
في غيابك ، أنا متلهف كالمناره
اذر ذر اشواقي ومضا
وحـرارة نـداء ! » .

انا في طريق العودة اليـك
وهذه الطائرة اللعينة ،
تجمد في الجو كالدمعة في العين المتعبة !
ما اروع ان اجلس معـك ،
على وسائد هذه الغيوم القطنية ،
ان نغوص في خباياها المتعرجة
ونختبئ في فجواتها المطويـة ...
انا آتية اليك فافتح لي جناحك
سأترك هذا الغمام المنداح ،
وانزلق فوق الضباب اللاهث
لاصـل اليـك ،
مـد لي ذراعيـك ،
ودعني اهوي براسي المثقل ...
دعني انثر جميع ما احمله من تمن ولهفة
فتزدان الطريق وتهزج غابات
الوحشة الممتدة امامي .

حين تضمني اليك ساصمت ...
سأكتفي باغماضة طويلة .
ما الذ الصمت ساعة ارسو على كتفيك
ساعة اغلق شراعي
وتهدهدني يـداك
هيا افتح ذراعيـك ،
وافرش زهـور الدراق
فانا آتيـة اليك من البعيد البعيد
على غلائل غيمة متوهجـة !

الشويفات ــ لبنان

اديل الخشن

دراسات في الادب المقارن

بقلم امل امين زكي

* * *

نرجع الان الى توفيق الحكيم وفرانز كافكا لننظر في مسرحية الاول « مصير صرصار » وقصة الثاني « استحالة » ، ولكني اود ان اتطرق الى وجه الشبه بين شخصيتي الكاتبين قبل معالجة كتابيهما .

مما لا شك فيه ، أن هناك تشابها بين شخصيتي الحكيم وكافكا ، فكلاهما نشأ في بيت متزمت عند الطفولة ذلك ان والدة توفيق الحكيم كانت تركية الاصل شديدة الصلابة في معاملتها لطفلها الذي كانت لا تريده ان يختلط بطبقة الفلاحين التي ينحدر منها والده . وكانت تفرض عليه نظام التربية التركية القديمة المتميزة بالشدة والتضييق والتحفظ الى جانب حنان كبير كانت تفدقه عليه في احيان اخرى . وكان والده غنيا الا انه كان يشعر بأنه مدين لزوجه التركية التي رفعته الى حيث طبقتها الارستقراطية . لذا فقد كانت شخصية الوالد الضعيفة تتضاءل امام شخصية الوالدة القوية وكثيرا ما اثر ذلك التصادم بين شخصيتي الوالدين في شخصية الصبي وادت صرامة الوالدة في فرض تربيتها عليه الى صبغه بصبغة معينة وجعله يعيش في عزلة روحية اثرت فيه وفي كتاباته الى فترة متأخرة قد تكون حتى يومنا هذا .

ويقول المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم : « هذا الى ان تضييق الوالدين عليه والوقوف امام شخصيته والحيلولة دون مدها كان سببا لان يحس الطفل توفيق بنفرة من والديه وتصرفاتهما معه ، فعاش غريبا بين ابويه يشعر بأن هناك شيئا لا يستوضحه يفصل بينه وبينهما » . (1) واما في شبابه وفي فترة مكوثه في باريس فقد عرف المراة على الرغم من ادعائه كرهها واحبها ولكنه لسبب من الاسباب صدم بحبه ذلك او لم ينجح فيه فحاول نسيانها او التغاضي عن وجودها وان كان وصفه المراة الجميلة رائعا وعلمه بمواضع الجمال فيها ملحوظا . ويؤكد الدكتور ابراهيم ناجي بأن توفيقا الحكيم لم يكن عدواً للمراة اطلاقا بل انه اراد تغطية فشله معها فأخذ يدعي بانه عدوها .

وعلى الرغم من تبلور شخصيته في فرنسا وشعوره بالتحرر من سيطرة والديه ونضج فنه واكتماله ، فقد احس كذلك بانه غريب عن المجتمع الفرنسي وانه مهما طال به العهد مصري قلبا وقالبا .

وهذا فرانز كافكا ، لم تكن علاقته بوالده طيبة فقد اتهم والده دوما بالطمع والمادية وعدم الاهتمام بالقيم الروحية والادبية . وكان والده تاجرا غنيا وصل الى ما وصل بالمثابرة والداب ولم يكن يأبه برغبات ابنه الفنية والادبية بل كان ينظر اليها على انها مضيعة للوقت . لذا نشأ كافكا في براغ نشأة قلقة فدرس الادب ثم الطب لمدة قصيرة ثم اتجه الى دراسة القانون ظنا منه بأنه في انصرافه الى هذا الحقل يمكنه متابعة كتاباته ومتابعة الفن الذي اغرم به والعيش بالشكل الذي يريده بحرية اكثر ، وكذلك فعل توفيق الحكيم حين انصرف عن دراسة الدكتوراه في باريس الى الانخراط في محيط الفن والكتابة . ولم يجد كافكا ضالته في حقل القانون لانه اضطر الى ان يتقلب في عدة وظائف في شركات مختلفة كي يؤمن عيشه وكادت رتابة الحياة في مجال الوظائف تقتله ولم يشف غليله تغيير الوظائف والشركات، لذا ترك براغ نهائيا الى برلين وعاش فيها حتى مات عام ١٩٢٤ متأثرا بمرض السل .

لم يتزوج كافكا ، ولم يختلف عن توفيق الحكيم كثيرا في ذلك فقد جاء زواج الحكيم متأخرا جدا نسبيا (عام ١٩٤٦) ، وعلى ما يظهر ، لم يكن كافكا موفقا في علاقاته مع الجنس الاخر فقد خطب فتاة عام ١٩١٤ واوشك على الزواج منها الا انه فسخ خطبته تلك وحاول الزواج ثانية الا ان اعراض السل ظهرت عليه فاضطر الى نسيان امر الزواج ودخل المصح للاستشفاء عوضا عن ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان سريع التأثر مرهف الاحساس ، شأنه في ذلك شأن توفيق الحكيم ، الى درجة الجنون ولم تكن شخصيته القلقة مدعاة للعجب فقد لعبت عوامل متعددة في حياته لتجعله غريبا حيثما عاش ، منها انه كتب كل مؤلفاته باللغة الالمانية على الرغم من كونه جيكيا مما جعل اهل بلده ينظرون اليه نظرة تساؤل وعجب . ولم يستطع ان يحوز اعجاب وثقة الالمان الذين عاش بين ظهرانيهم لكونه اجنبيا ولكون والده يهوديا . ولم يهتم اليهود به كثيرا لانه اعلن صراحة الحاده وعدم اعترافه بالاديان السماوية لذا فقد كان احساسه احساس « اللامنتمي » الشاب في ايامنا هذه . ولا غرو ان تكون معظم قصصه اشبه بكوابيس لا يستطيع هضمها الكثير من الناس .

لقد عالج مسرحية توفيق الحكيم «مصير صرصار» السيد جورج طرابيشي في مجلة الاداب اللبنانية (آب ١٩٦٨ ، العدد الثامن ، السنة السادسة عشرة) بشيء من التفصيل وتعرض الى ماهية الرمز فيها واختلاطه بالحقيقة الا انه لم يشر ، لا من بعيد ولا من قريب ، الى التشابه بين فكرة مسرحية الحكيم وقصة فرانز كافكا « استحالة Metamorphosis »

من الواضح ان توفيقا الحكيم كتب مسرحية ولم

يكتب قصة واستعمل الصراصر في الفصل الاول كشخوص تبرز على المسرح او في حقيقة الحياة وتشرح مشاكلها والصعوبات التي تواجهها ، في حين ان كافكا استعمل الرمز الخالص اذ ان بطل قصته « غريغور سامسا » يفتح عينيه صباحا ليجد نفسه قد استحال الى حشرة كبيرة او خنفساء ولم يعرف كيف يداري وضعه وامه تطرق باب غرفته صباحا كي توقظه استعدادا للبدء باليوم الحافل بالمسؤوليات وللحاق بقطار الصباح الباكر الذي كان لا يخطئه اطلاقا .

لقد توخى كافكا الرمز هنا لان « غريغور » لم يكن في حقيقة امره وفي رتابة حياته المملة واستيقاظه منذ الخامسة صباحا كي يلحق بقطار الساعة السادسة ، وعودته مساء منهوكا متعبا ، الا حشرة في اصطبل العالم لا هم لها سوى جمع الفضلات والقاذورات كي تعيش . اذن تحول ذلك البائع المتجول المغمور المسؤول عن اعالة والديه واخته والذي لا يزيد في تفاهة وجوده في الحياة عن وجود حشرة ، تحول الى حشرة حقيقية هائلة الحجم ولم تكن استحالته تلك الا تعبيرا عن حقيقة شخصيته . ويرتبك افراد العائلة ويكاد يطير صوابهم حين يجيب « غريغور » على طرقات أمه على الباب بهمهمات مبهمة واصوات عجيبة بدلا من الجواب بالكلام الاعتيادي . وبعد الصدمة العنيفة التي يصابون بها حين يكتشفون امره وبعد الحيرة من اجله والشفقة تجاهه والعطف عليه ، تتحول مشاعرهم واحساساتهم هذه الى عدم اكتراث ، اذ قد اعتادوا على وضعه ، ثم يصبح عدم الاكتراث ذلك احتقارا واخيرا الى شعور بالعار والكراهية حتى يموت بسبب الجوع والاهمال .

يتجلى الرمز هنا في ان هذه العائلة نفسها التي افنى شبابه في خدمتها لم تنتظر منه ان يفعل في حياته اكثر مما فعل ولم تترك له مجالا كي يتفرغ الى نفسه او ان يحقق لنفسه اية هواية او اي عمل ابداعي اخر سوى التفكير بخبز العائلة ومستقبلها ، ولم يكن لديه حتى الوقت الكافي كي يخلق له صداقة مع احد او ان يفكر بالزواج ، اي ان شعوره بالواجب تجاه والده الشيخ المتقاعد الذي خسر ماله في صفقة تجارية لم يصنع منه سوى حشرة او دودة ، وظيفتها الوحيدة في الحياة هي جمع الطعام وجلبه الى البيت كي لا تضطر العائلة الى الهبوط في مستواها المعاشي الذي كانت عليه قبل اضطرار الوالد الى الانقطاع عن العمل . فلما واجههم ذات صباح بحقيقة الصورة التي كان يمثلها ، او ببشاعة الدور الذي كانت العائلة تدفعه دفعا للقيام به يوما بعد يوم دونما رتوش ، ارتاعوا وانكروا عليه ذلك وحاولوا اخفاء خبر استحالته جهد الامكان وتمنوا موته خشية الفضيحة والعار .

نشرت قصة « فرانز كافكا » لاول مرة باللغة الالمانية عام ١٩١٦ وترجمت الى اللغة الانكليزية عام ١٩٣٣ ، واما نص مسرحية توفيق الحكيم « مصير صرصار » الذي اعتمدنا عليه للقيام بهذه الدراسة فانه لا يحمل سوى اسم الناشر وهو مكتبة الاداب واما التاريخ فلم يظهر لا على الصفحة الاولى ولا في المقدمة التي كتبها المؤلف ، على اني عثرت على تاريخ نشرها وهو ١٩٦٦ اثناء مراجعتي كتاب السيد غالي شكري « ثورة المعتزل ، دراسة في أدب توفيق الحكيم » في قائمة مراجعه في نهاية الكتاب .

لم يكن الرمز في مسرحية « مصير صرصار » جديدا على توفيق الحكيم بل انه اعتمد الرمز في مسرحياته وكتاباته المتقدمة في مجالات متعددة ، وجاء ذلك نتيجة تأثره بالكتاب الغربيين والفرنسيين منهم بصورة خاصة ، حيث قضى فترة شبابه الاول في فرنسا وتفتحت نفسه الى جميع المؤثرات والاغراض التي كانت تعتمل في المجتمع الفرنسي حينئذ .

ويقول المرحوم الدكتور سماعيل ادهم في تعليقه على الرمزية عند توفيق الحكيم : « كان لاستيعاب الحكيم فترة اقامته بفرنسا للمسرحيات الرمزية ان جعلت فنه ينبثق من الرمزية. من طبع واقعي ذهب في عالم التخيل واخذ باسباب الاتجاه الرمزي ، ومن هنا نجد ان رمزية الحكيم يشوبها شيء من الوضوح نتيجة لطبيعته الحسية التي ذهبت في عالم التخيل فتحولت اساسا في حياة التجرد التي عاشها » . (٢)

فلئن كان توفيق الحكيم في استعماله الرمز في مسرحية « شهرزاد » قد نجح من حيث الاخراج المسرحي لانه استطاع ان يجلب الرموز الثلاثة على المسرح كشخوص اصلية هم شهريار الملك وقمر الوزير والعبد الاسود كي يمثل كل منهم وجهة معينة او طورا معينا في حياة الانسان « شهريار » او كما يقول الدكتور اسماعيل ادهم بأن العبد يقف كرمز لشهريار « في طوره الاول حيث كان شهوة حيوانية » . والوزير قمر هو وجهة اخرى من وجهات تطور شخصية شهريار فهو « شهريار الثاني حيث هو قلب شاعر » . واما شهريار نفسه فيبدو مفكرا غير عابث « يمثل الطور الثالث وقد جاوز طور اللعب بالاشياء والتعبد لها الى طور التفكير فيها ».

الا ان ذلك الرمز في مسرحية « مصير صرصار » لا يمكن جلبه على المسرح لان المسرحية نفسها في فصلها الاول تبدأ بصراصر اصلية تتكلم وتشرح وتدخل في مناقشات فلسفية وفي كيفية مكافحة النمل الذي يهاجم ويقتل اي صرصر ينقلب على ظهره . وقد يصعب جلب ذلك المنظر على المسرح لان الصراصر تبدو واقفة على حواف حوض الاستحمام وحول البالوعة وما الى ذلك الا ان توفيق الحكيم سبق أن نوه في مقدمته لمسرحية « بيجماليون » : « اني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن ، واجعل الممثلين افكارا تتحرك في المطلق من المعاني ، مرتدية اثواب الرموز ! » . اي ان الحكيم توخى في مسرحياته هذه ان تقرأ فقط كما فعل « سينيكا » الفيلسوف والمسرحي الروماني الذي عاصر نيرون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطاغية (٣) والذي قرر النقاد ان مسرحياته غير صالحة للتمثيل وانما هي صالحة للقراءة والتمعن .

هذا وقد استعمل النقاد الحديثون لفظة « المسرح الذهني » عند توفيق الحكيم للتمييز بين مسرحياته التي يمكن اخراجها على المسرح والمسرحيات التي تصلح للقراءة فقط ، كالدكتور عبدالقادر القط في كتابه « الادب المصري المعاصر » . كما استعمل الدكتور علي الراعي اصطلاح «مسرحيات توفيق الحكيم الفكرية» في عدد الهلال الخاص، (شباط ١٩٦٨) في تعليقه المفصل على مسرحية « يا طالع الشجرة » ، وماهية الرمز فيها ، والتعليقات الاخرى على « اهل الكهف » و « شهرزاد » وغيرها . ويقترح الدكتور محمد مندور في كتابه « مسرح توفيق الحكيم » (القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ ، ص ٤٤) تسمية هذا النوع من المسرحيات « بالمسرحيات التجريدية لا المسرحيات الذهنية » لانه يرى ان شخوص هذه المسرحيات غير واقعية وبعيدة عن الحياة العملية وان وجودهم يعتمد اولا واخيرا على الافكار لا على الفصل . اذن علينا ، حين معالجة المسرحية ، ان ننسى مدى صلاحيتها للاخراج المسرحي ، والاكتفاء بمعالجتها كما هي فكرة وقالبا .

نعود الى مسرحية « مصير صرصار » مرة اخرى ونقول انه بانتهاء الفصل الاول يسقط ملك الصراصر داخل حوض الاستحمام ويحاول عبثا ان يخرج منه على الرغم من قوة عزيمته ومحاولاته المتكررة التي تبوء بالفشل وينزل الستار .

يكون عنوان الفصل الثاني « كفاح صرصار » فنرى سامية وزوجها عادل على وشك النهوض من الفراش للحاق بالدوام لان كليهما موظف في شركة واحدة ويريد كل منهما ان يسبق الاخر الى حمام الصباح . الا ان سامية تسبقه الى الدخول على الرغم من استيقاظه قبلها، وتغلق الباب عليها وتبدأ بتوجيه الاوامر اليه : بأن يضع ابريق الشاي على النار وان يفعل كذا وكذا حتى تنتهي هي من حمامها ، ولكنها سرعان ما تترك الحمام لانها تعثر على صرصر داخل الحوض . وتطلب من زوجها ان يقتله كي يتسنى لها اتمام زينتها قبل الخروج الى العمل .

يأتي عادل لكي يتخلص من الصرصر الا ان محاولات الصرصر اليائسة للخروج من الحوض تسحره ، وعزيمته التي لا تفتر في تكرار المحاولة نفسها وفشله كل مرة في الخروج حين وصوله الى نفس النقطة من الحوض اذ يتزحلق ثانية الى باطن الحوض ، تجعل عادلا يتسمر في محله وتجذبه هذه المحاولات غير المتوقعة جذبا عجيبا ، وحين تترك سامية الحمام كي تجلب مبيد الحشرات يغلق عادل الباب عليه ويتجاهل حديث زوجه وصياحها من خارج الحمام ويبدأ بالكلام مع الصرصر مشجعا اياه للكفاح في سبيل الخروج من مأزقه ويبقى يحادثه متجاهلا كلام زوجه التي ظنت انه جن .

ثم يجيء الطبيب فيفتح له عادل ويحاول ان يفهمه ان سبب مرضه – على الاقل بالنسبة لسامية – هو انهماكه في الصرصر بينما تحاول سامية ان تقاطعه كي تشرح هي للطبيب فيصيح بها عادل ان من حقه ان يشرح مرضه هو على الاقل للطبيب دون مقاطعة لمرة واحدة في حياته . وبعد لأي يفهم الطبيب ما يتزاحم عليه الزوجان وسبب السحر الذي ربط عادل بالصرصر : ان عادلا يقرن نفسه بالصرصر اي انه بحياته الرتيبة تلك وبتسلط زوجه عليه وبضعف شخصيته امامها يشعر بانه كالصرصر المسكين : كفاح مستمر منذ الصباح حتى المساء دونما نتيجة ، لذا فهو يصر على عدم ابادة الصرصر الذي تصر الزوجة على أبادته اي انه في عقله الباطن مثل نفسه بالصرصر ، وذلك سر تشبثه به واصراره على ابقائه .

وسرعان ما يصبح اهتمام الطبيب بالصرصر اكبر من اهتمام عادل به ذلك ان الطبيب ، بعد محادثته الانفرادية مع عادل ، يكتشف بأن مكانته في الحياة كمكانة عادل فيها فتتحير سامية بينهما ، وبينا هما مشغولان في نقاشهما تدخل الخادم فتقضي على الصرصر وترميه خارجا . وحين تقتنع سامية بأن زوجها طبيعي وان الطبيب ترك البيت بعد ان اعطاه اجازة يوم واحد للراحة تعود فتملي عليه اوامرها من جديد بعد ان قررت في اول الامر ان تنصاع اليه وتجعله يشعر بأنه رجل البيت، ما دام سيجلس في البيت للتمتع بالراحة فقط ، فيصيح بالخادم ، حين يعلم بأنها ازالت الصرصر : « يا أم عطية ... هاتي الجردل والخرقة .. وازيليني من الوجود !. »

يتضح من النتيجة ان عادلا اعترف في النهاية بانه يتمثل شخصيته بالصرصر على الرغم من انكاره حين نوه الطبيب وزوجته له بذلك ! اي ان فكرة فرانز كافكا قد تحققت بشكل يختلف نوعا ما في مسرحية توفيق الحكيم فقد انقلب بطل كافكا الى صرصر كبير اصلي ، او حشرة اصلية يراها الجميع ويخافها او يختزي منها الجميع ، بينما تمثل بطل توفيق الحكيم نفسه في صرصر ساقط في حوض لا يكل ولا يمل من الكفاح في سبيل الخروج من مأزقه على الرغم من تكرار المحاولة نفسها الا ان النتيجة هي هي .

ونقول بأن الفكرة هي نفسها على الرغم من كون الاولى قصة والثانية مسرحية الا ان بطل كافكا كان اشجع من عادل لانه جابه الجميع بحقيقة شخصيته دون خشية او خجل بينما اصر عادل على النكران ، ولم يرد

(١) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي « توفيق الحكيم » (القاهرة ، دار سعد مصر ، ١٩٤٥) ، ص ٦٣ . (٢) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي ، « توفيق الحكيم » ، (القاهرة، دار سعد مصر ، ١٩٤٥) ص ٩٣ . (٣) كان سينيكا مؤدب نيرون في صباه ومستشاره وناصحه في شبابه الا ان الطاغية ضاق به اخيرا وأمره بانهاء حياته . (٤) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي ، « توفيق الحكيم ، (القاهرة ، دار سعد مصر ، ١٩٤٥) ، ص ١٤٧ . (٥) جورج طرابيشي ، « لعبة الحلم والواقع في أدب الحكيم (مصير صرصار) » الاداب ، العدد الثامن ، السنة السادسة عشرة ، اب ١٩٦٨ ، ص ٥٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاعتراف حتى لنفسه بسبب تعلقه بالصرصر بل قد ثار واحتج بكل قواه حين ادرك بأن الطبيب وسامية كانا يلمحان الى انه قد راى تشابها بينه وبين الصرصر ، واتهمها بالجنون ، وتعجب من تغيير معاملة زوجه له حين قررت ان تجعله يشعر بأنه رب العائلة والكل في الكل في البيت .

هذا مع العلم بأن قصة فرانز كافكا تحولت في الصيف الماضي الى مسرحية (تموز ١٩٦٩) قام بتمثيلها واخراجها على مسرح الراوند هاوس ستيفن بركوف في لندن . اي ان غريغور سامسا في « استحالة » يقف عاريا روحيا بعد ان استحال الى حشرة فهو كما هو ، لقد اسقط قناعه البشري وعلى العائلة ان تتقبله كما هو : الا انه كان سيء الحظ لان المجتمع المحيط به لم يستطع ان يتقبل صراحته تلك ، لذا فقد قضي عليه بالموت .

وقد استطاعت امه كما استطاعت اخته ان تتعودا على فكرة استحالته بعد فترة ، وان تتحملا التجربة المرة في محيط العائلة وليس خارج نطاقها ، لان الشعور بالخزي ظل ملازما لهما بخصوص هذا الموضوع ، ولكن الاب لم يستطع احتمال الفكرة اطلاقا وبقي على نفس انفعاله حتى نهاية القصة ، اذ كانت الاستحالة تثير في نفسه عواطف مختلفة ومتضاربة من خوف الى الم الى خزي الى استنكار وغثيان ، ولم يهضمها اطلاقا .

وفي حقيقة الامر ان الاب يستمد حياة جديدة من موت ابنه المعنوي فتراه يشمر عن ساعديه من جديد ويستعيد نشاطه بعد ان توقف الابن ويصبح قادرا على العمل بينما كان قعيد الدار عندما كان الولد يعمل . واما الولد ، فقد ثبت فشله حتى في كونه حشرة : ذلك انه لم يكن حشرة ككل الحشرات التي تعيش على ما تقع عليه ايديها ، بل كانت حياته تعتمد كليا على ما يقدمه اليه افراد العائلة من طعام ، وعليه فهو يذبل ويموت في اخر القصة نتيجة الاهمال والنسيان .

يقول المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم في هذا المجال : « اذن فالفنان له ان يستعين بافكار غيره والاحساسات والمشاعر التي يجدها في آثار الغير ـ لان هذا ملك عام ومادة للفن ـ ليقيم آثاره الفنية . فالفنان كالمعمار يستخدم اللبنات ـ وواحدة هي ـ في اقامة مبانيه ، وطراز البناء هو الذي يسم البناء بالمهارة والاقتدار كما يسم الفنان بالقدرة الفنية » . (٤)

لئن كانت تجربة كافكا شخصية متأتية من مرارة علاقته بوالده وشعوره بضآلته وانعدام شخصيته امام شخصية والده القوية الذي خلق نفسه من العدم ، واصبح تاجرا مرموقا ، وكان الى جانب ذلك طويلا عظيم الجثة ، في حين كان فرانز كافكا صغير الحجم قميئا ، وظل طيلة عمره يعتقد بانه فاشل ولم يستطع ان يبني ما انجزه والده ، حتى أنه كتب مرة في احدى مقالاته بأن والده أعلنها صراحة له بانه يشبه الحشرة الضارة التي لا تكتفي بالقرض فقط ، ولكنها تمتص الدماء ايضا كي تعيش ، فقد تكون تلك العبارة بحد ذاتها الباعث على فكرة الاستحالة وفكرة الحشرة . بل ان بعض النقاد يرى ان غريغور سامسا ما هو الا فرانز كافكا نفسه وانه لم يكلف نفسه حتى مؤونة تغيير الاسم بشكل كبير بل بدل من الحروف قليلا فاصبح بطل القصة يدعى سامسا بدلا من كافكا .

وعليه فأن الرمز الذي التزمه توفيق الحكيم يختلف، فهو على حد تعبير السيد جورج طرابيشي : « ولا غرو بعد هذا ان يكون الحكيم قد رفض علم النفس تحليلا وعلاجا ، لان المرض هو مرض وجودي ، وباء ازلي كان منذ ان كان ابوانا الاولان . وما تصرصر عادل في المسرحية الا رمز للسقطة الاولى ، سقطة آدم . وهذا المرض لا علاج له : قدر كتب على الانسان كما كتب على الصراصير ان تكون فريسة للنمل . انها مشكلة « قديمة قدم الازل » كما جاء في الفصل الاول و « لا تدخل في نطاق العلم والعلماء » . ولهذا حرص الحكيم على التأكيد بأن مسرحيته انما هي تراجيديا . وشرط التراجيديا كما قال الحكيم ان « تكون نهاية البطل نتيجة لصراعه مع قوة لا قبل له بها » . والنمل بالنسبة الى الصراصير ، والجنس بالنسبة الى البشر ، هما هذه القوة » . (٥)

لم يلعب الجنس دورا قويا في رواية كافكا ذلك ان بطل قصته غريغور سامسا لم يتمتع بفراغ يسمح له بالاتصال بالناس او بخلق العلاقات الاجتماعية بل كان يترك البيت مبكرا جدا ويعود مساء متأخرا منهوك القوى الا انه وجد متنفذه الوحيد في صورة فتاة جميلة في اعلان عن نوع من الفراء الذي كانت تقوم ببيعه شركته ، فقد علق الصورة على حائط غرفته وكان يمتع نفسه بالنظر اليها بين الحين والاخر وانه بعد استحالته تعلق بالصورة ولم يسمح لاخته بازالتها من الغرفة مع قطع الاثاث الاخرى التي حملتها خارجا كي تعطيه مجالا للحركة أكبر . وقد يأتي هذا العامل ايضا من ان كافكا نفسه لم يكن موفقا كما ذكرنا في علاقاته النسائيه .
وقد تكون غرابة اطوار غريغور سامسا وانطواؤه على نفسه حتى قبل استحالته انعكاسا اخرا لانفعالات كافكا وشعوره بالغربة اينما حل .

الفرق بين مسرحية توفيق الحكيم وقصة فرانز كافكا هي ان المسرحية تحمل الشيء الكثير من البهجة بين سطورها وفي ثناياها وفي المحادثات التي تجري بين الصراصر او بين العناصر الانسانية على الرغم من ادراك القارىء أن هناك قدرا أزليا مسيطرا لا يرجى الانهزام منه او الانفكاك عنه مهما حاول الانسان . بينما يشوب قصة كافكا جو مظلم قاتم خانق ومخيف بحيث ان القارىء ، بعد ان ينتهي من القصة ويطويها ، يتنفس الصعداء وكأنه ازاح حملا ثقيلا من على صدره حامدا المولى عز وجل ان اشياء من هذا القبيل لا يمكن ان تحصل في الحياة الدنيا !

بغداد **امل امين زكي**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

درب الهوى

★

ذكرتني أمس بأمس مضى … عند رصيف البيت ، في المدخل
نروي ، على مهل ، حكاياتنا … وقصة من قصص البلبل …
… شد الجناحين على جرحه … وطار مشتاقا الى الجدول
ظمآن قد أعيت به نفسه … مثقلة بالامل المثقل
حتى اذا ما استيقظت عينه … وعاد من تطوافه المنهل
حط الغدايا والعشايا معا … في قفص ، من ريشه ، مقفل
أبينه وبينها جفوة … ام ذاك شان النار في المشعل
يغمرها في زيته باردا ، … وينقل الدفء ولا يصطلي

تساءل البلبل ، كم مرة … بث ، ولم يتعب ، ولم يبخل
أعطى عطاء الارض في خصبها … وشوقها ، وصمتها الاعزل
جسد في السفح ، وفي المنحنى … ما جسد الايمان في الهيكل

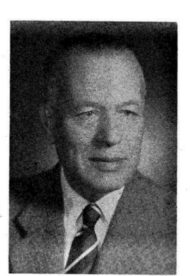
قالت ، وقد مدت اليه يدا … أطرى من الورد على المخمل :
- خذ سري المكنون في عروتي … وطف به في خلوة المنزل
في كل درج أنت درج الحلى … ومسحة الكحل على مكحلي
ونقطة الحبر على دفتري … وحبة الجمر على منقلي
وشدة الخصر ، ويا لينها … كخصلة من شعري المرسل
… عفوك لا تقس على مرفقي … عفوك لا تشدد على مفصلي
تكاد من رقتها رقتي … تجرحها خواطف الانمل

على قميصي كل يوم أرى … ما تغزل الاشواق من مغزل
وتنسج الاحلام من منول ، … ويكتب العراف من مندل ،
وتحمل الانسام من همسة … منسية في المقعد المهمل

قلت لذاك الجسد المنتشي … خميرة ، والليل بي مختلي
ومسمع يصغي الى مسمع … ومنهل يهفو الى منهل
لو كانت الطير بلا اجنح … لمات في درب الهوى بلبلي

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد عبد الغني حسن

الدكتور احمد فؤاد الاهواني

١٩٠٨ – ١٩٧٠

بقلم محمد عبد الغني حسن

• • •

في يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٧٠ جاءني خطاب من الجزائر، يفضي الي فيه الدكتور احمد فؤاد الاهواني بكثير من شؤونه وشجونه في غربته الجديدة ، ثم يقحم في خلال الكلام ذلك البيت المشهور من الشعر لم افهم له محلا في السياق ، ولا موضعا من نظم القول ، حيث يقول :

ومن كانت منيته بارض فليس يموت في ارض سواها

وكنت افهم ان الدكتور الاهواني لم يكن له ليروي هذا البيت ويترك البيت الاخر الذي يلازم هذا البيت في الاستشهاد ، والذي نصه كما يلي :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

ولم ادر لماذا أجتزأ الاهواني بالبيت الاول ، واستغنى به عن الثاني .

ورويت لصديقي وصديق الاهواني ، الشاعر الرقيق الاستاذ حسن كامل الصيرفي ما ذكره عالمنا المغترب من شعر ، واوجاع ، والام ، ومن اسى على فراق الوطن ، ومن تسليم بقضاء الله في غربة لم يكن له فيها يدان ، ولكنه كان « قدرا سابقا » كما جاء في خطابه .

ولم استبشر خيرا بخطاب الاهواني ، ولم احب منه ان يذكر الموت في معرض الحياة ، مهما كانت قاسية عليه في الجزائر .. وغلبني الجزع والقلق على هذا الصديق النادر في هذا الزمان ، ولكن لم يبلغ بي سوء الظن بالايام انها قاسية الى حد لم يكن يخطر لي على بال .. ففي صباح السبت ١٤ مارس سنة ١٩٧٠ ، وفي لحظة باكرة منه هاتفني الصديق الشاعر حسن كامل الصيرفي بالنبأ الحزين الذي نشره الاهرام . وهنا ـ فقط ـ ادركت السر في بيت الشعر الذي أقحمه الاهواني في رسالته الي ، ولم يكن بين وصول الرسالة ، وبين نعي الاهرام للدكتور احمد فؤاد الاهواني الا بضعة عشر يوما لا تزيد ...

وهنا ـ ايضا ـ ادركت سر ذلك الصفاء ، او تلك الشفافية ـ كما يقول صديقنا الشاعر الرقيق الدكتور مختار الوكيلي ـ التي كان يتمتع بها الاهواني .

والدكتور أحمد فؤاد الاهواني خريج الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ هو من رجال مدرسة الفلسفة المصرية المعاصرة التي كانت ثمرة من ثمار دار العلوم ، والجامعة المصرية ، والجامعة الازهرية معا . وهي مدرسة من شيوخها واعلامها الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور علي العناني ، والدكتور أبو العلا عفيفي ، والدكتور ابراهيم بيومي مذكور ، ومحمود الخضيري ، ويوسف كرم ، والدكتور عثمان امين ، والدكتور محمد مصطفى حلمي ، والدكتور عبد الهادي ابو ريدة ، والدكتور نجيب بلدي ، والدكتور زكي نجيب محمود ، والدكتور توفيق الطويل ، والدكتور علي سامي النشار .

ولقد احب الاهواني الفلسفة ، ورأى ان الاشتغال بها نفض لغبار الكسل والجمود عن العقول ، واكد انها صحبت الحضارة العربية الاسلامية في أوجها حتى لقد وصفها الفيلسوف الكندي ـ فيلسوف العرب ـ في رسالته الى الخليفة العباسي المعتصم بانها اعلى الصناعات الانسانية منزلة ، واشرفها مرتبة .

هذا كلام ذكره الاهواني عن الفلسفة في كتاب له عنوانه « معاني الفلسفة » ثم عاد يؤكده ويزيده بيانا ووضوحا في كتاب له اخر عنوانه « في عالم الفلسفة » .

ولقد بلغ من حب الاهواني للفلسفة وغرامه بها انه حاول جاهدا ان يبسطها للقراء العاديين ، ويذلل لهم اطرافها ، وييسر لهم تناولها تيسيرا لم نجده في كتب السابقين التي كانت مشحونة بالغموض والتواء العبارات وسقم التعريفات . فهو يتحدث عن الفلسفة وكيف نفهمها حديثا واضحا سهلا يسيرا كل اليسر يحبب القراء في الفلسفة ويزيدهم على الامعان فيها ، وهو يتحدث في بعض كتبه ـ وخاصة « في عالم الفلسفة » و « معاني الفلسفة » ـ عن نظرية المعرفة حديثا ممتعا سائغا ، فيعالج مسألة فطريتها واكتسابها ، ويتابع نظرياتها منذ قدماء اليونان الى العصر الحديث .

ولم يكن الاهواني مثل اولئك الكهنة القدماء الذين

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

يستأثرون بالعلم لانفسهم ، ويحصرون المعرفة في ذواتهم، حتى يظلوا دائما متميزين مفـرقين في (الطبقية) ، مختصين بنوع من المعرفة لا يشركهم فيه غيرهم ، وانما كان — رحمه الله — يرى ان الفلسفة كالماء والهواء من حق كل انسان . بل امعن فؤاد مـع القائلين بأن كل انسان فيلسوف وندعه يقول بنص عبارته : « على هذا يستطيع ان نقول ان كل أنسان — ما دامت له نظرة في الحياة فهو فيلسوف وندعه يقول بنص عبارته : « على هذا نستطيع القائل في مقدمة كتابه « التعاليم الاساسية لكبار الفلاسفة » : « ان كل انسان ، فلاحا كان ام من رجال المال ، كاتبا ام قائدا ، حاكما ام محكوما ، فهو فيلسوف بمعنى الكلمة . ذلك ان الانسان بما هو انسان ، وقد وهب دماغا راقيا ، وجهازا عصبيا ، فلا بد له من التفكير، والتفكير مطية الفلسفة » . كما ذهب مذهب « روستان » القائل في كتابه « تصور الفلسفة » : « ان لكل انسان افكاره عن الكون والحياة ، وعن دوره في هذا العالم ، وعن الخير والشر ، وتنشأ هذه الفلسفة عن القراءات والتعليم والتقاليد ، وعن دوافع القلب ، وهواتف الوجدان . ولم يمنع الجهل من جراة الجهال على اعلان رأيهم في طبيعة النفس ، والموت ، والله » .

والوضوح في تعبيرات الدكتور احمد فؤاد الاهواني الفلسفية ، هو بعض المزايا التي اخذها عن استاذه المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق . فقد كان الشيخ استاذا له في الجامعة منذ اول انشائها ، وكان الاهواني من اول تلاميذه في الجامعة ، بل كان من ذلك الرعيل الذي كان له فضل القيام بعبء تدريس الفلسفة — قديمة واسلامية وحديثة — في الجامعات والمعاهد والمدارس . وقد اعترف الاهواني بتأثره بروح الشيخ مصطفى عبد الرازق في مقدمة كتابه « معاني الفلسفة » حيث يقول : « واني لاستلهم في هذا المؤلف روح استاذنا المغفور له الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر مصطفى عبد الرازق . عنه اخذت الوضوح في الفكر ، والدقة في التعبير ، والسعي وراء الحق . وهي خلال جعلت منه الفيلسوف الحق » .

اما شهادة الاستاذ مصطفى عبد الرازق لتلميذه الاهواني ، فيظهر بعضها في المقدمة التي كتبها الشيخ لتلميذه لكتابه « التربية في الاسلام » حيث يقول : « نال احمد فؤاد الاهواني برسالته حين قدمها الى كلية الاداب اجازة الدكتوراه ! وهو اذ ينشر اليوم هذه الرسالة في الناس ، جدير ان ينال التشجيع كله ، والثناء الجميل . وان كان تلميذنا الاهواني من العلماء المخلصين ، لا يبتغي في سبيل العلم وخدمته جزاء ولا شكورا » .

ولقد علمت الفلاسفة ، وعلمت الفلسفة صديقنا الراحل الاهواني ان يحب الحق ، وان يجعله فوق كل اعتبار ، وان لا يساوي به من اعتبارات الدنيا شيئا ، كما علمته ان لا يبالي باختلاف وجهات النظر ، ما دام سيفضي بنا في النهاية الى الوصول الى الحقيقة . ونراه يصرح في مقدمة لاحد كتبه عن الفلسفة : « وقد تختلف معي في بعض الاراء التي انتهيت اليها ، وعلى الخصوص ما كان منها مبتكرا . ولكني لا أرهب الخلاف في وجهة النظر ، لان استقلالك بالراي هو الدليل على عمق النظر . ومن العسير الاتفاق في الفلسفة على رأي واحد . وهذا تاريخها يفصح عن تباين شديد قد يذهب الى حد التناقض . والخلاف بين افلاطون وارسطو اشهر من ان يذكر ، حتى لقد احتاج الفارابي الى تأليف كتاب في الجمع بين رايي الحكيمين والتوفيق بينهما . . . »

ولقد بلغ من اعتزاز الاهواني بقيمة الاستقلال في الراي نشدانا للحق انه حينما أصدر كتابه « ميزان الحق » وهو مجموعة من المقالات النقدية التي كان يتابع بها انتاج المكتبة العربية — جعل شعاره على الغلاف وتحت العنوان هذه الكلمة التي قالها ارسطو « احب افلاطون ، واحب الحق ، ولكن حبي للحق اعظم » .

وعلى الرغم من مسايرة الاهواني للجديد في العلم ومتابعته له ، فانه ما نفض يديه من تراب القديم الذي كان يؤمن ايمانا شديدا بقيمته وضرورته . لقد آمن بالتراث العربي الاسلامي ، بل بالتراث الانساني كله . حتى راى نشره واحياءه ضرورة لا بد منها ، ولم يذهب مذهب الذين يحاولون الانفصال عن القديم او التجرد منه . فحينما نشر كتاب « احوال النفس » للشيخ الرئيس ابن سينا مع ثلاث رسائل اخرى للشيخ كتب في المقدمة يقول: « وانا لنرجو ان يكون في احياء تراث ابن سينا فاتحة عهد جديد من النهضة والبعث والاعتزاز بالقديم ، والثقة بقوة الشرق ، وما اداه الشيخ الى الحضارة الانسانية من اياد لا تنسى على مر الزمان » .

ولقد جاء حب الاهواني لاحياء التراث العربي ونشره مقوما محققا عن طريق شيخه واستاذه مصطفى عبد الرازق . واثبت الاهواني هذا في مقدمة لكتاب « التربية في الاسلام » وفيها يقول : « وكانت عناية مصطفى عبد الرازق بالبحوث الاسلامية في شتى نواحيها عظيمة ، صرف اليها جهده ، وحث تلاميذه على كشف غوامضها ، مع الاهتمام بنشر التراث العربي القديم ، واحياء مجد العروبة والاسلام » .

ولم يدع الاهواني فرصة للدعوة الى نشر التراث العربي الا انتهزها ، وضرب على وترها . ففي فصل عنوانه « امواج الفكر الاسلامي » من كتابه « في عالم الفلسفة » نراه يقول : « ولن تتيسر الدراسة الكاملة للفكر الاسلامي الا اذا تم اخراج جميع هذه المخطوطات الى عالم الطباعة ، حتى يسد النقص الذي يشعر به كل من يدرس تاريخ الفكر في الاسلام » .

وقضية الجمع بين الجديد والقديم معا هي المسألة التي كانت شغل صديقنا احمد فؤاد الاهواني الشاغل ،

فهو ينادي بها في كل مجلس ، ويدعو اليها في كل دراسة، ويروج لها في كل كتاب ينشره . ولم يسأم من ترداد الدعوة اليها ، ففي كتابه « التربية في الاسلام » نراه يقول في المقدمة : « ونحن في حاجة الى القديم والجديد معا ، لاننا لا نستطيع قطع الصلة بالماضي الذي لا نزال نعيش في دينه ولغته . لا يزال ديننا الاسلام ، وكتابنا القرآن ، ولغتنا العربية . ونحن في حاجة اليوم الى تعليم ابنائنا اللغة العربية والقرآن الكريم .. »

والجمع بين القديم والجديد ظاهرة تبدو في دراسات الاهواني كلها ، فهو يمسك بطرفي الخيط الفلسفي منذ عهد سقراط وافلاطون وارسطو في القديم ، الى عهد جايمس وجون ديوي في الحديث ، لا يرى من ذلك شتيتا الا الفه ، ولا نثيرا الا نظمه في سلك . ففي كتابه « في عالم الفلسفة » يمضي بنا من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية الى الفلسفة الحديثة ، في نسق واحد هو الكتاب كله . وكذلك فعل في كتابه « معاني الفلسفة » .

وهذه المعرفة الشاملة التي ادركها الاهواني كانت نتيجة لقراءات واسعة ، واطلاع دائم . وما عرفته — وانا قريب منه — تراخى في قراءة شيء مهما كان وزنه ، ومهما كان نوعه . فهو يقرأ كتب الفلسفة والتاريخ والدين والادب ، وهو يقرا بالعربية والانجليزية والفرنسية ، وهو يقرأ المجلة الجادة ، والمجلة الضاحكة الهازلة ، وهو يقرأ بالليل ويقرأ بالنهار . ويعبر عن اهمية القراءة وضرورتها بقوله في كتابه « اسرار النفس » « ... ان السر في نهضة الشرق وحضارته التي ازدهرت في ذلك العهد انما قامت على العلم ومحبته . فلا حضارة بغير ثقافة ، ولا ثقافة بدون تعلم ، وطريق العلم شاقة ، وسبيلها الاطلاع والتوفر على القراءة » .

وعلى الرغم من اعتلال صحته من سنوات فانه كان جم النشاط ، كثير القراءة ، خصب التأليف ، مكبا على الترجمة . وكانما كان يقاوم المرض بالقراءة ، ويعالجه بالعمل . لانه لم يحب الدعة ولم يؤثر الراحة . ولقد بلغ من نشاطه انه كان كثير التنقل والاسفار ، مشاركا في مؤتمر ، او محاضرا في جامعة ، ما بين مشرق ومغرب . ففي سنة ١٩٥٢ شارك في مهرجان ابن سينا ببغداد ، وبعدها شارك في مهرجان الشيخ الرئيس بطهران ، وفي سنة ١٩٥٦ القى محاضرات عن الفلسفة الاسلامية بجامعة واشنجتون . ثم سافر الى ليبيا استاذا للفلسفة في جامعتها ، وكذلك اعير استاذا للفلسفة في الجامعة الاردنية ، وعاد منها في العام الماضي ليكون استاذا للفلسفة في كلية الاداب بجامعة الجزائر وكان لم يهدا بعد من رحلته الى الاردن . وما كان يرى في ذلك بأسا ولا عسرا ولا رهقا لانه كان يؤمن بانه يؤدي للعلم ولبلاده رسالة لا يجوز التخلي عنها .

وكان لكثرة نشاطه يشغل نفسه باكثر من كتاب ، ويشتغل باكثر من عمل . ففي خلال تحقيقه لكتاب « احوال النفس » لابن سينا ، شرع في تأليف كتاب موضوعه « علم النفس السينوي » ورجا من الله ان يوفقه الى انجازه في القريب « اذا ساعدتني الظروف المواتية ، مع توفيق الله وصحة البدن ... » وكان ذلك في سنة ١٩٥٢ ، ولكن كتابه عن علم النفس السينوي لم يكمل ، ولم يظهر ، وان كان ظهر بعده عدة من الكتب والتحقيقات والترجمات .

وتبلغ عدة الكتب التي اصدرها الدكتور احمد فؤاد الاهواني ستة وعشرين كتابا ما بين تأليف وتحقيق وترجمة . فمن مؤلفاته : « معاني الفلسفة » و « فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط » و « في عالم الفلسفة » و « خلاصة علم النفس » و « اسرار النفس » و « ميزان الحق » و « افلاطون » و « جون ديوي » وهما من مجموعة نوابغ الفكر الغربي . و « ابن سينا » وهو في سلسلة نوابغ الفكر العربي ، و « تاريخ المنطق والمنطق الحديث » ، و « التربية الاسلامية او التعليم في راي القابسي » . و « الحب والكراهية » و « الخوف » و « النسيان » و « النوم والارق » وهذه الاربعة من مجموعة كتب « اقرا » التي تصدرها دار المعارف .

ومن تحقيقاته : « كتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى » و « ايساغوجي وحياة فرفريوس الصوري » و « احوال النفس » لابن سينا ، و « كتاب النفس » لابن رشد ، و « نكت احوال ابن سينا » للكاشي وهو من مطبوعات المعهد الفرنسي ، و « الشفاء » لابن سينا ويشتمل هذا الجزء على « المدخل » ، و « تفصيل احوال المعلمين والمتعلمين » لابي الحسن علي بن محمد القابسي ، و « اداب المعلمين » لابن سحنون وهو ملحق برسالة القابسي .

ومن ترجماته : « ترجمة كتاب النفس » لارسطو ، و « طريقة دكرولي » و « مباهج الفلسفة » لول ديورانت ، و « البحث عن اليقين » لجون ديوي .

وقد الف بالانجليزية كتابا عنوانه « الفلسفة الاسلامية » ، وهو مجموع المحاضرات التي القاها في جامعة واشنطون سنة ١٩٥٦ .

وقد راجع الدكتور الاهواني بعض الكتب التي ترجمها غيره ، مثل كتاب « الحضارة الاسلامية » لريسلر ، الذي ترجمه الاستاذ غنيم عبدون ، وكتاب « مدخل لقراءة افلاطون » الذي ترجمه الاستاذ عبد المجيد ابو النجا .

وليست مراجعة الكتب المترجمة او المعربة بدعة من البدع ، فهي ضمان للدقة التي تراد من الكتاب المترجم . فحينما نقل الدكتور الاهواني كتاب « النفس » لارسطوطاليس عن الفرنسية والانجليزية معا ، فان صديقنا الاب جورج شحاتة قنواتي قد راجع الترجمة على اليونانية التي يصرح الاهواني بان معرفته هو بها « لا تتعدى بعض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابريق القهوة

وركوة لأبي ما زلت أذخرهـا	كأنما هي مني حجة الحسب ..
يا سحرها وهي فوق الجمر هازجة	تروي حديث الندى في ساحة اللهب
أيـام يتلو على السمار ساكبها	حكاية الجاه في الماضي من الحقب
اذ المكارم ما قدمت من بلس	للسامرين وما أضرمت من حطب
وما يطوف به الساقي على علل	من قهوة هي ذوب الليل والشهب
واذ نداماك مزهـو ومفتخـر	وكلهم سـيد من سادة العـرب
يروون ما كان من عز ومن كـرم	ويلبسون «الحكايا» بردة الادب

وديع ديب

الالفاظ والمصطلحات » فكانت مشاركة الاب قنواتـي ـ وهو متمكن من اليونانية ـ ضمانا لضبط الترجمة ودقتها.

ولقد اهتم الاهواني بالشيخ الرئيس ابـن سينا ، وعايشه بالفكر والدراسة حقبة من العمر ، فأصدر عنـه كتابا في سلسلة نوابغ الفكر العربي ، وحقق له ثلاثة من الكتب .

ويتجلى في كتابات الاهواني اسلوب عربـي يمتـاز بالاشراق والوضوح والدقة . مع الاطراف في التعبيـر ، والتأنق في العبارة . وهو ـ لطول مخالطته لكتب القدماء ـ ترى على اسلوبه مسحة من الفصاحة والعلو ، فلا يسف، ولا ينزل ، ولكنه مع هذا يؤثر اللفظة المألوفة الآنسة على اللفظة الغريبة الجافية . وكثيرا ما كان يأخذ على صديقنا المرحوم الاستاذ عادل زعيتر اغرابه في ترجماته ، وايثاره اللفظة المعجمية المهجورة على اللفظة الدائرة المستعملـة الحية ، وكثيرا ما كان يغضب صديقنا عادل زعيتر لمثـل هـذه الملاحظات .

ولقد عاشرت الاهواني وصادقته قرابة ثلاثين عامـا ، فما زاد الود بيننا الا تمكنا وتأكيدا ، على حين كانت تهن اسباب الود بين الاصدقاء . وكان ـ رحمه الله ـ سخي اليد ، لا تمسك راحته شيئا ، ولا يضن بما بين اصابعـه على احد : صديقا كان أم محتاجا أم سائلا . وفي كتابـه « أسرار النفس » يصف البخل بانه مذموم ، لانه تطرف في الجمع والاقتناء وافراط في الاختزان . ومع ايمانـه بالقيم الروحية كان يرى المال يحقق كثيرا من أمور الحياة، ولكنه عاجز عن شراء المعاني الـروحية التي لا تقـدر بالموازين المادية ..

وكما صان الله كف الاهواني من الامساك والبخل ، صان لسانه من الاذى والتطاول ، فما سمعنا منه كلمـة جارحة في انسان ، وكان يحفظ غيبة الصديق ويصونهـا بالادب الكريم .

وكان يرى للصداقة حقوقا تجب مراعاتها ، ولا يجوز التساهل في أغفالها ، ومن حقوق الصداقة عنده تقديـر الاصدقاء . فما صدر لي كتاب الا وجدت احمد فـؤاد الاهواني يستقبلـه بالنقد أحسـن استقبال ، ويتناول الحديث عنه في المجلات التي كانت تعنى بالكتب في ذلك الزمان ، كالرسالة ، والثقافة ، ومجلة الكتاب ، رحم الله ايامها الذاهبات !!

ولقد سوغ هو ذلك الموقف مني بخاصة ، ومـن اصدقائه المؤلفين بعامة ، فكتب في كتابه « اسرار النفس» فصلا عنوانه : في الصداقة والصديق ، يقول فيه :

« وقع الخضر ـ يريد الاستاذ الناقد عباس خضر ـ في كشكوله من الرسالة يقول إنه لاحظ انني كلما اخرجت كتابا كتب عنه الاستاذ محمد عبد الغني حسـن ، وان العكس صحيح ، يريد أنه كلما أخرج كتابا او ديوانا اكتب عنه . والتوقيع ـ على ايجازه ـ وان كان صحيحا يحمل معنى التعجب ، أو هو خبر ينطوي على استفهام ، واشارة تحتاج الى تفسير وبيان . وبيان هذا التبادل انه دليـل على الصداقة ، او هو آية الاخوة . ولكاتب التوقيع ان يعجب في زمن اصبحت فيه الصداقة اندر من الكبريت الاحمر ... »

هكذا كان نظر الدكتور احمد فؤاد الاهواني الـى الصداقة وحقوقها وواجباتها ، وقد شاء الموت ان يخطفك منا ، وشاء القدر ان ارثيك في هذه الكلمة ، وقد كنـت اوثر أن تقول انت رثـاءك في ، فانك مـن اهل الوفاء والانصاف ..

رحمك الله ايها الصديق ، العالم ، العظيم ...

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

وقف امامها مبهوتا .. وهو يتحسسها بأنامله المرتعشة ، وقلبه الواجف ، ثم يتركها .. ليعاود امساكها من جديد ...

كان يتطلع اليها بنظرات فاحصة، حائرة .. كاد يبكي .. ولكن عز على نفسه ان يكون رجلا ويبكي ..

كاد يصرخ بصوت عال .. لولا ان كتم ذلك الصراخ داخل نفسه ..

وهتف هاتف في أعماقه :

— ان الدمعة هي الدم .. الدم .. الدم ..

وعاد اليها وحملها برفق بين يديه .. ومن خلالها راى صورة أعز انسان لديه .. وكأنها تناديه من ذلك الحيز الضيق ..

تركها بسرعة ..

وجلس امامها على ذلك المقعد المريح .. مسترخيا .. وارتسمت على وجهه علامات الغضب .. والثورة .. واطلت من عينيه شرارة حمراء ..

وتراقصت امام عينيه صور كثيرة .. وتزاحمت الافكار السوداء في مخيلته كخيوط العنكبوت المتشابكة لا يدري لها بداية او نهاية.

ويعود الى نفسه وسط هذه الدوامة ليسمع صوتا خافتا صادرا من اعماقه يدعوه للتأكد من صحة حديث والدته ..

ويطفو من داخله هاتف عنيف :

— عيب عليك .. الم تصدق حديث أمك .. اذا لم تصدقه فستكون عاقا .. امك التي ربتك وجعلتك رجلا .. أتنال منك ذلك .. ان تكذبها وكيف تجرؤ على تكذيبها وانت وحيدها الذي تحبك .. ويتلاشى هذا الهاتف من مسمعه .. رويدا .. رويدا ..

ثم ارتد اليه من جديد صدى صوت أمه العجوز كالرعد عندما قالت له لما سألها عن تلك الزجاجة المهجورة .. المجهولة الموضوعة على المنضدة ..

— ولدي لا تقل الزجاجة مهجورة .. ولدي لا تقل الزجاجة مجهولة آه لو تعلم ان هذه الزجاجة التي أمامك تعيش في سمعي .. وفي بصري .. وفي خلدي .. وفي أعصابي .. انها مرتبطة بمن يصلك بي .. الا تعلم انها عطر وبقايا عطر من ابيك .. انظر اليها .. اقترب منها وتحسسها بيديك مليا .. انها الوعاء الذي حمل كمية كبيرة من دم ابيك .. حملتها لك .. لقد مات ابوك يا ولدي وانت ما زلت جنينا في احشائي .. كنت أعد الشهور واتعجل الليالي الطوال .. اترقب مولدك بصبر نافذ حتى قدمت لهذه الدنيا .. وكم كانت فرحتي حينئذ عندما علمت انك ذكر .. ولاول مرة تجد الابتسامة طريقها الي عندما

زجاجة دم

بقلم رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علمت بذلك منذ قتل والدك .. ولم استطع ان اقص عليك شيئا من هذه المأساة خلال سنوات حياتك الاولى .. لصغر سنك ولعدم قدرتك القيام بأخذ ثار والدك ..

ولقد آن الاوان يا ولدي لكي ترد فيه الي كرامتي .. بل كرامة ابيك .. أفهمت يا ولدي .. فاثأر له .

و ....

وصرخ « حسين » فجأة وكأنه يحاول بذلك ان يهرب من ذلك الصوت الذي ينبعث من كل جانب.



واستماتت يداه على أذنيه وكأنه يحاول الهروب من ذلك الصوت الذي يكاد يمزق كيانه ...

وارتفع من جديد صوت أمه وهي تقول :

— عليك بأخذ ثار ابيك .. ثأر ابيك .. دمه يناديك يا ولدي لا تدع من قتلوه يعيشون في سعادة ونعيش نحن في حزن عميق ..

وسألها عن سبب مقتله :

فثارت قائلة :

— ايا كانت هذه الاسباب .. والدك مات مقتولا .. فيجب الاخذ بثأره ..

— ولكن ..

فقاطعت حديثه قائلة :

— ارفع رأسنا يا ولدي .. ارفع رأسنا يا ولدي ..

★

ظل في فراشه ساهرا .. صورة ابيه لا تبارح خياله ..

ضاقت الدنيا في وجهه .. واحس وكأنه يقف على رأسه والاشياء التي من حوله مقلوبة .

وكان يخيل اليه أن نبرات صوت امه تخترق جدار الغرفة وتسلل من جديد في همس حزين عميق وهي تحدثه لاول مرة عندما عاد اليها بعد غيبة طويلة عاشها مع عمه في القاهرة .. وقصت عليه قصة مقتل والده والدم المحفوظ داخل الزجاجة ..

وكلما حاول ان يغمض عينيه .. أطلت امامهما صورة والده .. والدم من حوله كشعلة من وهج احمر ..

وهو يقول له :

— قتلوني يا ولدي ظلماوعدوانا .

وقام من جلسته في حالة ذعر شديد ليمسح بعينيه تلك اللوحة المعلقة داخل الغرفة والتي تضم صورة لأبيه والمثبتة على الحائط وكأنما يحاول ان يطبق هذه الصورة على شكل والده الذي يرتسم في مخيلته من آن لاخر ..

وعاش ليلة بأكملها مستيقظا في دوامة لا تنتهي كمن القى حجرا في ماءساكن .. يحدق في سقف الغرفة .. وفي شرود تام .. وقلق مستمر .. يترقب بزوغ شمس الصباح ..

★

وغردت الاطيار تعلن بدء يوم جديد ...

ودبت الحركة في القرية ..

لم يشعر « حسين » بنفسه عندما دفن زجاجة الدم داخل ملابسه في الصوان وكانما يحاول اخفاءها عن الناس بعيدا عن أعينهم ليحتفظ بها وحده ككنز ثمين .

وخرج في ذلك الصباح الى الحقول ..

وبدا له الفراغ الاخضر على جانبي الطريق غريبا في بادىء الامر .. فلقد عاش اكبر فترة من حياته في القاهرة .. لم ير فيها بلدته ولا امه الا في الاجازات الدراسية السنوية فقط .. لقد كان يعيش مع عمه الذي لم ينجب اولادا فاحتضنه واعتنى بتربيته ولولاه ما سافر الى القاهرة لان امه كانت تعارض بشدة ان يبتعد عنها ..

وبينما كان يعبر جسر الترعة .. سمع صراخا وعويلا مدويا ياتي من بعيد ..

وعلم ان احد افراد عائلة قاتل ابيه قد مات ..

★

عاد الى البيت مسرعا ليخبر امه بما حدث .. ربما تعفيه من مهمته القاسية وتكتفي بما أصابهم من مكروه ..

ولكن الام في قسوة لم تبال بذلك .. ولم تهتم بحديثه ..

وقالت له :

ـ لا يكفي موت واحد امام راس ابيك يا ولدي .. كان ابوك رجلا عظيما كبير الشأن .

وتركها عندما شعر بأن حديثه لا فائدة منه وانها لن تقتنع بما سيقوله لها ..

وتركها وهي ما زالت مسترسلة في حديثها ..

ودلف الى حجرته ..

وفي داخل الحجرة واجهته صورة والده المثبتة على الحائط وهو يبتسم فحول راسه .. فسمع بعض كلمات امه تنساب الى اذنيه ..

فكاد ان يصرخ لولا ان شعر بقشعريرة تسري في جسمه ...

وفتح الصوان بيد مرتعشة ليخرج شيئا ثقيلا من ملابسه ليرتديه حتى يحميه من تلك القشعريرة ..

فاصطدمت يده بزجاجة الدم وحملها بيد مرتعشة ووضعها على المنضدة ونظر اليها .. ثم عاود البحث عن الشيء الذي يبحث عنه لارتدائه ..

فعالج الضلفة الاخرى ولمح عند اسفلها شيئا أثار انتباهه .. كان ذلك الشيء سكينا صدئة في مكان غير مطروق ترك الزمن عليها اثر بصماته ..

وانحنى عليها ليلتقطها ، ولكن بدون وعي وبلا ارادة دفعها بعيدا عنه ..

وعاد الى كرسيه المريح الذي يتوسط الغرفة واسترخى عليه ..

وبعد فترة من الوقت ..

سمع صوت بعض السائرين في الطريق تحت نافذته وهم يتحدثون عن موعد تشييع الجنازة ..

وبينما كان يحول وجهه وكشريط سينمائي متعدد المشاهد .. لمح زجاجة الدم .. التي تتوسط المنضدة .. والتفت الى الناحية الاخرى راى صورة والده .. وخيل اليه ان صوت امه ينبعث من خلال باب الغرفة المغلق ويخترق جدارها وهي تقول :

ـ لقد آن الاوان يا ولدي .. لقد بلغت اليوم سن الرجولة وهو انسن المناسب لاخذ ثأر والدك .. لقد عشت عشرين عاما في ظلام لم اذق طعما للنوم خلال تلك السنوات الطوال .. فعليك ياولدي باطاعتي.

وهرع الى الخارج .. حاملا تلك السكين وقد زج بها طي ملابسه هاربا من الاشباح التي تطارده ..

وسأل عن مسير الجنازة ..

فعلم انها في طريقها الى الجبل.

وسار تجاه الطريق المترب الموصل الى الجبل .. سار فيه على غير هدى كأنه يسير الى قضاء محتوم ..

وهناك ...

عند المقابر .. وبعد دفن الجثة.

وفي حركة سريعة اخرج «حسين» السكين من تحت قميصه وطعن اول من طعن العمدة عاهل الاسرة وكبيرها .. ثم بدات الطعنات تنهال من هنا وهناك في صدور افراد العائلة دون توقف .

وكان يصرخ كأنه قد مسه شيطان وهو يطعن .. وقد بللت الدموع وجهه بصوت عال مزق سكون المقابر :

ـ « كفاية والا لسه يابا .. كفاية والا لسه يابا » ..

وكانما صوت ينبعث من القبور يقول له :

ـ كفى .. كفى ..

ورمى السكين المطوقة بالدم على الارض وتهالك بجانبها منهك القوى وهو في حالة ذعر وخوف من الدم السائل تحت قدميه .. ومن عيون الرقباء التي تلاحقه ..

وقبض عليه .. وسيق الى مركز الشرطة وهو يعرف المصير الذي ينتظره والتي سببته له أمه بحقدها .. وكراهيتها ..

★

وحينما سرى الى الام بنبأ الحكم بالاعدام على ولدها الوحيد .. وقعت على الارض مغشيا عليها .. وغابت عن الوجود ..

وظل اهل القرية يتهامسون :

ـ مسكينة هذه المراة .. لقد دفعت الثمن غاليا ..

القاهرة رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالم القمر

بـرئت حياضك من أثيم عـوار … وتنزهـت عـن لوثـة وشنار
دنياك طهـر لم يدنس حوضهـا … طمـع ترامـى غمـره بشرار
عقد السـلام بكـل ربـع رايـة … شمخت محلقـة الصـوى كمنار
والعدل رانٍ فليس من مستضعف … يشقى بشرعـة غاصب ويداري
نزهت عن ظلـم ونـار مطامـع … تكـوي الرجـال بجامح من نـار
ما في مسارحك السحيقة للاذى … قـدم تجـر بهـن فضـل ازار
والاض في حمأ الرذيلـة لطخـت … واستعبدت بشريعـة الدينـار
وبهااستحل دمالضعيف علىالهوى … عنتـــا لغلمـة محرب وضواري

نعمت شعابـك بالسكون وأطبقت … للنوم جفن صريـع كأس عقـار
وجرى السراب يجر فضل مـآزر … في شاسع دون الثرى بوقــار
ينداح محموم الجوانح عاصفـا … بجوائـح للمـنـر كالاعصـار
متبـدل في كـل حين حلـة … وحقيقـة تخفـى على الابصار
ينساب ما بين الشعاب كجـدول … مترقـرق بالفـيء والانـوار
يبدو ويخفي كالظنـون بخاطـر … لمعت وحجبهـا الهـوى بستار
ما أنفـك مطردا كمنهمر الحيـا … دون القفـار بصوبـه المدرار
أفوافـه خدع البهارج ، والـذي … أفوافـه خـدع البهارج عـاري

أهلت مسارحك السحيقةبالصدى … في جنح ليـل مسبل كدثـار
وجرت كتائـب للسـكون كأنهـا … عبب المحيـط بلجـة الاسحار
راياتهـا معقـودة فـي شاسـع … كالظـن فـي الابهـام والاسرار
وأطلت الاشباح تمـرح مثلمـا … شاء الهوى في أنجـد وقفـار
سرحت طويلا فـي المفاوز والربى … في السهـل والآكـام والاغوار
وخبت كأنفاس النسيم من الضنا … واستبهمت كخواطـر الاغـرار
وتآلفت أفرادهـا وتعانقـت … معقـودة الايدي بكل مـدار
تسري بلا قـدم وتعنق دهرهـا … في زحمـة الاعوام كالاقـدار

أتراك عفت بني الورى وجوارهم … ورأيت فـي الاشباح أكرم جـار
أم خفت اوجاع الحيـاة وعارهـا … ومطامعا تفـري بمخلب ضـاري
العار من سفخ الحيـاة حصيلـة … لرغائـب مجنونـة الاطـوار
والاثـم ترب النفس ليس مجانفا … غـورا لهـا او عازفـا عن غـار
أوليس في دنيـا الرجال دلائـل … وشـواهد عن صحـة الاخبـار
إن الشواهد في الغرائز أعربت … بشـواهد سطعت كضوء نهـار
سبحان من أجـرى الحياة لعلـة … خفيـت عـن الابصار والافكـار
كـل يسيـر لغايـة مرسومـة … قسرا ولم يـك سيره بخيـار

دمشـق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



احمد الصافي النجفي



احمد الصافي النجفي متنبي هذا العصر

بقلم عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

* * *

قبل ان ادخل في موضوع هذه الدراسة المتواضعة ، اود ان اشير الى عـدة نقاط هي :

لم اطرح كل ما يجب طرحه عن حياة شاعرنا الكبير ، وانمـا حاولت قدر جهدي ـ ان ارسم صورةواضحة الملامح ، تبين حياة الشاعر بآمالهـا والامها .

وحينما اعرض بعض صوره الشعرية لا يعني ذلك ان هذه الصورة او تلك ، هي من اجود القصائد التي قالها الشاعر ، وانما هـي ـ جزء لا يتجزأ من العقد الشعري النفيس الذي نظمه وينظمه الشاعـر كل يـوم وليلـة ..

وبالتأكيد فانه وان كانت القصائد الكثيرة التيَ تملأ دواوينه الكثر، تمثل حياته تمثيلا حقيقيا وواقعيا الا انني سأعتمد الى حد ما علـى مقابلة جرت بيني وبينه في بيروت في شهر جمادىَ الاولى عام ٨٧ هـ ـ اغسطس ٦٧ م .

وفي هذه الدراسة محاولات صادقة ـ لكنني لـن اطالب القارىء بضمها الى قلبه وعقله ، فله الحرية الكافية باخذها او رفضها غيـر انني اجزم وبثقة ـ ان القارىء الحصيف لن يرفض هاتين النقطتين :

ـ الحقائق والمعلومات التاريخية التي حققتها وتحققت منها ـ مـن الشاعر نفسه ـ ومن العديد من اصدقائه المقربين اليه ، اعني المعجبين لشعـره .

ـ يستحق الشاعر الكبير ـ وبجدارة ـ لقب متنبي عصـره ، فشعره يقف بثقة بالغة امام شعر ابي الطيب المتنبي ـ يرحمه الله ـ فهو يقول هنا وليس قوله هذا عن نبوة «اني والمتنبي على خط واحد» :

يوحدنا في الروح دار ومهجـر ويجمعنـا في الشعـر فن وحسد
أتى متنبـي الشعر والروضَ اجرد وجئت وروض الشعر منه مـورد

بل انني اجزم ومن جانبي ـ ان هذا الشاعر العملاق يفـوق الكثير من الشعراء الكبار تصويرا وتجديدا وتفكيرا ، وذلك عائد فـي تقديري الى التجارب الحياتية والفكرية والنفسية التي عاناها الشاعر ، ولا يزال يعانيها حتى كتابة هذه السطور ..

ان حياة الصافي بماضيها وحاضرها مليئة بالالام والاحـزان ، طافحة بالتشاؤم ، مغموسة بالكآبة والتعاسة ، بالحرمان والاسـى ، بالتشرد والشرود .

ويبدو لي ان هذه الحياة الشاذة هي التي جوهرت لنا شعـر الصافي ، وبالتالي هي التي صنعت لشاعرنا مسلكا .. صوفيا تميـز بالتمرد على كل المسالك ـ الظلماوية ـ التي تقود الانسان الى الجهل والمرض والفقر .

وسأحاول قدر جهدي ان اعود الى الماضي القريب لابحث عـن الاسباب الجوهرية التي خلقت ألم الصافي ، وتشرد الصافي ، وبالتالي تعملق شعر الصافي ..

نسـب الشـاعـر

ينتسب الشاعر الى اسرة آل الصافي والمنحدرة من عائلة علويـة حجازية ، قدمت من الحجاز الى البصرة ، والمقيمة في النجف الاشرف، وتعد هذه الاسرة الحسيبة النسيبة من اعرق الاسر علما ومعرفة ودينا .. فوالد الشاعر ورث العلم والمعرفة عن ابائه واجداده ، حتى الجـد السابع السيد عبد العزيز الذي قطن النجف وأسس اسرة آل الصافي.

ويعد عبد العزيز ـ الجد السابع لشاعرنا ـ من كبار رجال الدين، بالاضافة الى معرفته بعلم الانساب ، لدرجة ان بعض معاصريه يدعونـه ب (عبد العزيز النسابة) .

ولقد اشار الشيخ محمد حرز الدين في كتابه « معارف الرجال » الى قيمة وعظمة السيد عبد العزيز ، بل ان المؤرخ المعروف الشيـخ محمد السماوي قال عنه في قصيدته الموسومة ب « عنوان الشرف في وشي النجف » :

منهم بنو عبد العزيـز الصيـد في كـل فـن منهـم عميـد

اما جد الشاعر لامه فهو الامام الشيخ محمد حسين الكاظمـي ، والذي يحسب من اكبر علماء عصره ، وقد ترجم له المؤرخ « اغا بزرك الطهراني » في كتابه « الذريعة في علماء الشيعة » وعدد مؤلفاته التى من بينها كتاب « هداية الانام » .

ويذكر شاعرنا أن جده لامه ينتمي الى اسرة آل معتوق اللبنانية والمقيمة في بلدة « الزرارية » وقد جاء الى النجف الاشرف بحثا عـن المعرفة والعلـم ..

مـولـد الشـاعـر

النجف المدينة الخالدة في العراق ، والنجف المدينة التياحتضنت ولا تزال تحتضن العلم ، ورجال العلم ومريدي العلم ، النجف المدينـة التي حج الطلاب اليها ، ليغترفوا من علم اهلها .. النجف المدينة التي دفعت علما وفيرا الى رفوف المكتبة العربية العامرة .. النجف المدينة التي انجبت المفكرين والعلماء والشعراء والادباء هي التي انجبت شاعرنا الفحل الكبير احمد الصافي النجفي عام ١٨٩٧ م (١٣١٤ هـ) .

وفي مدينة النجف الزاخرة بروائع العلم والادب والدين ، نشـأ الشاعر ، وفي محافل النجف ومنتدياتها الادبية ، راح الشاعر يغترف من ادبها وعلمها ودينها ، حتى أصبح الكثير من اهل النجف يعتقد انه سوف يحل محل جده ـ لامه ـ الشيخ العالم «محمد حسين الكاظمي».

دراسة الشـاعـر

بدأ الشاعر دراسته على يد (الشيخة) وبعد مضي ثلاث سنوات، انتقل الى احدى المدارس التقليدية (الكتاتيب) حيث حفظ القرآن حفظا تاما ، وهو لما يزل في السن العاشرة من عمره ، فدل ذلك علـى شروق عبقريـة شاعرنا ..

والى جانب حفظه القرآن اتقن الكتابة ، لدرجة ان خطه في ذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحين لا يماثله خط في الجودة والبهاء ..

وبموت والده ـ وهو في سن العاشرة ـ يخرج من المدرسة .... لينتهج نهج ابائه واجداده ، فدرس المنطق والنحو والصرف والمعاني والبيان ، الى جانب العلوم الدينية والصوفية والفلسفية القديمة ، التي تملأ رفوف مكتبات اهله وعشيرته ..

وفي اثناء تحصيله العلمي وفي سن السابعة عشرة من عمره توفيت والدته ، وبوفاتها راحت الالام تتوالد في طريقه ، والبؤس يفترس حياته ، والشقاء والتشرد والحرمان ينعكس على مسيرته ومسلكه .

« وقبل الحرب العالمية اصيب بضعف عصبي شديد ، مما جعل الاطباء يشيرون على اهله بأن يمتنع عن دروسه ، ويكتفي بالمطالعة بقصد التسلية فقط ، فاتجه منذ ذلك الحين الى قراءة الادب القديم والحديث ، واقبل بنهم على مطالعة الصحف والمجلات والكتب العصرية حيث رأى عالما جديدا ، وافاقا واسعة تتجلى امام عينيه » .

جهاده الوطني

وضع الشاعر الكبير امكاناته النضالية مع الامكانات الضخمة التي يطرحها العديد من المجاهدين العراقيين الذين راحوا وراح معهم يكافح الاستعمار البريطاني الذي جثم على ارض العراق فترة من الزمن طويلة .

وقوى الاستعمار تحتاج الى قوة شعبية ، وارادة جماهيرية، تقف ـ بصلابة ـ امام قدرة وقوة التفكير الاستعماري البريطاني ، لذا اخذ المناضلون يتصلون بكبار الشخصيات المستقيمة والنزيهة في العراق ، لكي يستطيعوا بهم ومعهم الوقوف ـ بجدية ـ امام الانجليز ، لنيل الاستقلال الكامل ، لارض العراق ، واهل العراق ..

لكن الاستعمار البريطاني راح يدس عملاءه في صفوف المناضلين، لكي يشكك في عدالة قضيتهم ، ونزاهة غاياتهم الامر الذي حمل بعض المتخاذلين يبتعدون عن الخط النضالي الذي ارتضاه شاعرنا الكبير ومعه العديد من زملائه الكرام .

وبالطبع ـ وبعد هذه الحركة الاستعمارية راح رفاق الشاعر يجتمعون ويقررون سرا ما يجب مواجهة عملاء الاستعمار والاستعمار به، وكانت هذه الاجتماعات تعقد خفية في منزل شاعرنا الكبير .

ومن المعروف تاريخيا ان منزل الشاعر النجفي هو المنطلق الرئيسي لثورة النجف التاريخية (عام ١٩١٩ م) التي قامت ضد الاستعمار البريطاني وعملائه .

ولم يتقوقع ثوار النجف ، داخل مدينة النجف فحسب ، بل ان النجفي ورفاقه ، اخذوا يتصلون بكل مراكز الثورة في العراق ، لكي يوحدوا الثورة الشعبية ، والارادة الجماهيرية ، ضد قوى الشر والطغيان ، ضد الاستعمار البريطاني ، وقد نجحوا بعملهم هذا الى حد كبير ، حيث عقد الاجتماع التاريخي الكبير في الجامع الهندي بالنجف.

وفي اثناء هذا الاجتماع صدر امر الحاكم العسكري في بغداد الى حاكم النجف بالقبض على المحرضين والمنظمين لهذا الاجتماع ، الا ان حاكم النجف لم ير ان القبض على المحرضين ، من الصالح العام ، وبالذات حينما علم ان الفئة المنظمة لهذا الاجتماع من رجالات وعلماء وزعماء العراق البارزين .

وعمت الثورة الشعبية كل ساحات العراق ، الامر الذي جعل الانجليز يصدون المواجهة الجماهيرية بقوة وقدرة النار والسلاح ، حيث زرعوا في كل مكان من ارض العراق مفارز عسكرية تقف امام الارادة الشعبية .. وبذلك استطاع الاستعمار اطفاء نار المدفع الشعبي ، الى حين ...

وفي هذا الجو الثوري العنيف رأى الشاعر الكبير ان مبارحة العراق امر لا بد منه ، وبالذات وهو يرى زملاءه ورفاقه يقتادون الى سجون التعذيب ، ومشانق الموت ..

نزوح الشاعر الى ايران

قرر شاعرنا الكبير ان يدخل الحدود الايرانية هاربا من الحكم الاستعماري البغيض ، الذي ساق العراق ، ومناضلي العراق ، الى الدمار والموت ..

وحينما وصل الى طهران واستقر الى حد ما في ربوعها ، عزم على عدم تضييع فراغه المخيف فراح يتعلم اللغة الفارسية ، من الافواه ، ومن معاشرة ادباء وعلماء الفرس ـ بعد حين ـ وقد استطاع شاعرنا ان يجيد اللغة الفارسية ، اجادة تامة ، الامر الذي جعله يتقدم لفحص اعلنت عنه وزارة المعارف الايرانية ، لكي يصبح معلما في مدارس ايران . وبالفعل نجح في هذا الفحص بتفوق ، وانخرط في سلك التعليم الايراني ، فراح يدرس الاداب العربية في ثلاث مدارس ثانوية ..

وبعد تادية واجب المدرس ، يشرع في كتابة مقالات ادبية واجتماعية باللغة الفارسية ، لينشرها في كبريات الصحف الفارسية.

ولم يقف نشاطه الذهني عند هذا الحد بل انتخب عضوا عاملا في النادي الادبي بطهران ، بالاضافة الى تعيينه عضوا عاملا في لجنة الترجمة والتاليف في عهد وزير المعارف الايراني السيد محمد تدين.

وفي هذه الاثناء رأى ان يترجم كتاب « علم النفس » لعلي الجارم ومصطفى امين الى الفارسية ، كما ترجم ايضا « رباعيات الخيام » من الفارسية الى العربية .

وبقي في ايران ثمان سنوات ، اعطى شعب ايران من فنه وفكره وروحه وادبه ، الشيء الكثير ، بالاضافة الى ان ايران الاسلامية احتضنته ، واعطته من سحرها وبهائها وفنها الشيء الكثير ايضا ـ وللشاعر رأي هنا حول الخيام يجب اثباته فهو يقول :

« الحقيقة انني تأثرت بالفكر الفارسي . الا ان شخصيتي العربية الاصيلة ظلت واضحة . وعندما قيل له لقد فسر بعضهم الرباعيات على انها من الشعر الصوفي اجاب « لا .. لا .. الخيام ملحد شاك . يدعو الى العب من ملذات الحياة » ، واما المتصوفون فهم يعبرون عن وجودهم بألفاظ الغزل ، والالفاظ في الوقت نفسه وسيلة الحواس للتعبير . وسأله احدهم هل لشعر الخيام صلة بالمعري اجاب : « اين الثرى من الثريا . الخيام مجرد قزم امام المعري » . وعندما سأله احدهم بقوله: الشاعر الذي ينقل شعر زميل له الى لغته القومية يكون هذا متجاوبا مع تجربته الروحية ، فما مدى تجاوبكم مع فلسفة الخيام ؟ اجاب : « يوم ترجمت الرباعيات كان ذلك في شرخ الشباب وكنت صورة لها . الشك والميل الى الالحاد ، والانغماس في نشوات الحياة . اما الان فقد انفتحت امامي ابواب السماء . وقد طلب مني اكثر من مؤسسة طباعية اعادة طباعة رباعيات الخيام من جديد فرفضت ذلك » .

وبعد غيبة عن الديار دامت ـ كما قلت ـ ثمان سنوات حن الى ارض الوطن ، وحن الى اهله وعشيرته ، فرأى ان يعود الى بلاده ، بعد ان استقل العراق ، وخيمت على ساحته روح الاستقلال والامن والطمأنينة ..

وعاد فعرض عليه رفاق المسيرة الثورية الاشتراك في مسؤولية الحكم .. الا ان شاعرنا الكبير اعتذر عن تحمل هذه المسؤولية بسبب شدة الامراض التي داهمته وهاجمته فور وصوله الى ارض العراق ، والتي دامت معه ثلاث سنوات ، كادت ان تهلكه لولا ارادة الله ، ثم براعة الدكتور سعد الدين عيسى الذي انقذه ، وقام على علاجه وتطبيبه الى ان عادت اليه صحته ، فنصحه بالسفر الى لبنان وسورية للاستجمام ، وقد قبل نصيحته ...

وسافر الى سورية ولبنان

غادر ارض العراق متوجها الى سورية ولبنان عام ١٩٣٠ م تنفيذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنصيحة الطبيب ، وحين وصوله الى هناك راح يتعالج لدى الكثير من الاطباء والمستشفيات ، الا انه لم يجد المعالج القادر على استئصال الامراض التي تهاجم وتحارب صحته حتى هذه اللحظة .

ولقد تعاقبت على العراق وشعب العراق – وفي غيبته – نكبات ونكبات ، وثورات وثورات ، كان من اهمها وابرزها ثورة رشيد عالي الكيلاني التي هزت انفعالات واحاسيس ومشاعر شاعرنا الكبير ، فراح يقود المظاهرات الطلابية ، في بيروت ، ويوجه ويصقل ويؤجج همم الطلاب والمواطنين في لبنان ، يوجههم بفكره ، ويصقلهم بحكمته وتجربته ، ويؤجج مشاعرهم بشعره ونثره .

وشاعرنا الكبير يؤمن بوحدة الوطن العربي ، وبوحدة النضال العربي ، وبوحدة المصير العربي ، لذا فهو يرى ان الانسان العربي يتوجب عليه مكافحة اذناب الاستعمار وزبانية الانحراف والظلم اينما حلوا ورحلوا في وطننا العربي ، فسورية وطنه والعراق بلده ، ولبنان ارضه ، والجزائر والمغرب دياره ، وهو الذي يقول :

انى امرؤ عربي والعلى نسبي ... في اي ارض ارى عربا ارى وطنا

لكن الاستعمار وعملاء الاستعمار ، يحاولون بجهد جهيد اقتناص القدرات الانسانية المبدعة ، لذا فقد اعتقل الانجليز الشاعر النجفي في لبنان ، واودعوه غياهب سجن الفرنسيين في لبنان ايضا .. وبقي في زنزانته اكثر من شهر ونصف ، الى ان توسطت حكومة العراق لدى الانجليز فافرج عنه وهو يقول :

سجنت، وقبلي في العلى سجنوا اخي ... وآمل في العلياء ان يسجنوا الابنا
اذا لم نورث تاج مجد وسؤدد ... لابنائنا طرا ، نورثهم سجنا

انتاجه الشعري

بعد هذه الجولة المختصرة جدا ادخل الى محاولة صادقة لعرض انتاجه الفني ، واتمنى من كل قلبي ان اوفق الى العرض واقول العرض فقط :

يؤمن العديد من شعراء العرب على ان الشعر يجب ان يخدم فكرة (الفن للفن) في الوقت الذي يتوجب على كل فنان ان يلتفت الى مجتمعه ، والام ارضه ، يصورها ويجوهرها ، ويشحنها بقدرته وقدراته ، ليقدمها الى جمهور عشاقه ، وطلاب فنه .

وشاعرنا الكبير احمد الصافي النجفي الذي راح يصور لنا حياة آمال مجتمعه ، والام ارضه ، يصورها ويجوهرها ، ويشحنها بقدرته أمتنا ، والام واقعنا ، هذا الشاعر هو الذي يستحق الاكبار والاجلال والتقدير .

لقد كافح الصافي الاستعمار البريطاني ، بكل ما يمتلك من قدرة وقوة ، وكافح كل قوى الظلم والتعسف والانحراف ، وراح يقول بصدق وصفاء ، كل ما يؤمن به ويعتقده ، مهما كانت الظروف والاحوال.

لقد تعذب الصافي من اجل قومه ، وتشرد الصافي من اجل قومه ، وسجن الصافي من أجل قومه وامته واسمعه يقول :

ولما رأيت الذنب خدمة موطني ... حلى السجن حتى خلته جنة الخلد

ولم ينحن الصافي حينما سجن وانحنى غيره من الناس ، بل راح يهاجم الاستعمار الانجليزي ، وهو في زنزانته ومن يقول مثل قوله :

خسئت انكلترا ... والله اعمى مقلتيها
قبرها في كل ارض ... حفرته بيديها

وحينما حدث العدوان الثلاثي الغادر على مصر ، هاجت ثورته كاي عربي حر ، وتمنى من كل قلبه ان يقف مع اخوته الجنود ، يكافح ويدافع ويناضل ويجاهد في سبيل الوطن والعروبة والاسلام ، لكن مرضه وقف – كما وقف من قبل – حائلا امام امانيه حجر عثرة وقال في هذا قول المتعطش الى المشاركة في المعركة معركة المصير فلنستمع اليه يقول :

بكيت على ان لا اساهم في الحرب ... وقومي صرعى يقتلون بلا ذنب
هم العرب قومي ينجدون سواهم ... فان لم اذد عنهم فلست من العرب

وهو يبتغي لوطنه ، ولعروبته ، العيش بسلام وامن ، يبتغي ان تعيش ارضه العربية حرة ، لا تقيدها قيود الاستعمار البغيض ، ولتحقيق ذلك فهو يرى انه يجب على كل فرد من افراد امته ان يضحي ويكافح ويناضل ويتحدى كما يتحدى الصافي الاستعمار والظلم والتعسف فهو يقول في هذا :

سجنوني دونما ذنب سوى ... انني سامي المنى حر عزيز
لا يضير السجن مثلي ان يكن ... موطني يصبح في حرز حريز
ولئن اشنق تكن مشنقتي ... منبرا يعلن رجم الانكليز

على ان الشاعر قبل هذا وبعده يمجد امته ، ويثق بقدرتها على الصمود ، والوقوف امام التحديات الظلماوية ، ويشيد بتاريخها وتراثها الكريم الذي يجب ان تستمد منه نضالها من اجل الكرامة والعزة والشرف فلنقرأ معا قوله :

اننا في سوى العلى ما رغبنا ... نملأ الكون رهبة ان غضبنا
ما جزعنا للسجن يوم غلبنا ... « ان من رام مثلما قد طلبنا
« لا يبالي ان سيق للسجن سوقا »
نحن قوم عن العلى ما قصرنا ... حيثما دار كوكب العز درنا
واذا جار حادث الدهر جرنا ... « رخصت عندنا النفوس فثرنا
« نطلب العز والعلى لا لنبقى »
قد خلقنا دون الورى احرارا ... وامتلكنا التيجان والامصارا
وجعلنا لنا المعالي شعارا ... « ولقد سامنا العدو احتقارا
« فرأنا نستسبق الموت سبقا »

حنينه الى الديار

لاحظنا ان الشاعر تغرب عن ارضه واهله ، فترة طويلة ، ثم عاد الى ارض العراق ، وسافر بعد عودته بثلاث سنين الى سورية ولبنان ، ولم يعد الى العراق حتى هذه اللحظة .

ولقد قال الصافي حينما ساله احد اصدقائه الذي جعله يجافي العراق .. واهل العراق ، قال : « لا .. انني برغم السبع والعشرين سنة التي فارقت بها وطني لم اقطع صلتي به ساعة واحدة ، ويكفي ان تعرف شعوري نحو العراق من قولي :

لقد تغربت حتى ... نسيت كل قريب
فان رجعت لاهلي ... رجعت مثل الغريب
سلكت كل الدروب ... الفت كل الكروب
فغربة الدار داري ... والاهل صحب الدروب

ولقد ادمى تغربه فؤاده ، وعذب بعده عن الديار قلبه حتى قال :

جرح التغرب في فؤادي بالغ ... القي عليه ببلسم النسيان
فتفجر النسيان عنه واصبحت ... للجرح تهمل بالدما عينان

وحينما يذكر ويتذكر ارض العراق ، واهل العراق ، فانما يتذكر ليالي صباه ، وايام شبابه ، ومجالس خلانه وعشيرته :

بقلبي قد اظلت ذكريات ... تفتش فيه عن ماضي شبابي
بقايا من حبيب او محب ... واشباح لايام التصابي
وطيف تواصل وخيال هجر ... ورسم تدلل ورؤى عتاب
كشمس قد توارت في مغيب ... وبرق قد تلاشى في ضباب

واشتياقه لاهل العراق ، وتعلقه بارض العراق ، وبعده عن وادي دجلة والفرات ، يثير في نفسه الالام والاحزان لاسباب كثيرة منها انه لم يجد مع الاسف حتى الان من يفهمه فهو القائل :

روحي بارض العراق عالقة ... والعقل سام عن امدن المدن
احار بين التفتيش عن وطن ... يفهمني او محبة الوطن

والصافي الشاعر ، الصافي الحساس ، الصافي الذي لا ينسى رسوم دياره ، الصافي الذي ظل وفيا للعراق وتراب العراق ، الصافي الذي تثيره نخيل لبنان ، فيتذكر نخل العراق ، وتمر العراق ، لذا

تراه ـ من خلال هذه الذكرى يرسل الشعر شعرا حزينا ، شعرا يقطر أسا وحزنا ، شعرا مرا مريرا فهو يقول :

يا نخل «صيداء» ليهيجت اشجانا ... ذكرت من وطني اهلا وجيرانا
ما لاح طلعك لي الا وذكرني ... ربيع ريفي بطلع النخل مزدانا
كم ذكرتني بساتين النخيل هنا ... من نخل ريفي جنات وبستانا
وكم دعتني واغرتني لادخلها ... حتى الاقي بها اهلا وخلانا
يا نخل «صيداء» قد اشعلت نيرانا ... بقلب ناء بعيد الدار ولهانا

وكم تمنى الشاعر من كل قلبه ان يعود الى ارض وطنه ، ليتلمس ذكريات صباه عن قرب ، ويشاهد مطارح سعادته ، ويعيش فرحة ضاعت في متاهات الخيال ولكن هيهات فهو يقول :

الا يا ذكريات صباي هل من ... رجوع لي الى تلك الحياة
تذكرت الصبا فجلست ارنو ... لتلك الذكريات محطمات
ورحت اروم ان ابني قصورا ... بالوان التهاني عامرات
اذا بسواعدي وهنت وكلت ... وقد زال الهناء سوى رفات
فعدت الى قصور الذكريات ... وان هي اصبحت متهدمات
وقد اصبحت ما لي اليوم شغل ... سوى ترميم تلك الذكريات

ولكن لماذا لا يعود الى وطنه ، واشتياقه لارض العراق واهل العراق ، قد وصل به الى هذا الحد ؟ لماذا لا يعود الى اهله وخلانه يستمع لهم ، ويستمعون له ، يتحدث أليهم بكل ما لاقاه خلال مسيرته الحياتية الطويلة ؟ لماذا لا يعود ويوضح لاهل العراق ، كيف يعيش ، وكيف يجب ان يعيش اهل العراق ، لماذا لا يعود للعراق واهله ؟ ان السبب واضح جدا انه يقول :

اعلمكم بشعري الشعر ، لكن ... تعلمكم حياتي ما الحياة ؟

لماذا لا يعود ويتحدث اليهم بوضوح وايضاح نعم لماذا ؟ لا يعود انه يقول في هذا :

كيف الرجوع وان رجعت لواحد ... يهتاجني شوقا اليه الثاني
ابغي لاوطاني قلوبا جمة ... لا يكفيني قلب ولا قلبان

هو اذا يعتبر ان كل ارض عاش عليها فترة من الزمن ، ما هي الا قطعة من قلبه وروحه ولذا فان :

طهران لي دار شغفت بحبها ... زمنا نعمت به مع الاخوان

ويعتبر دمشق الخالدة ، منبعا خالدا للخير والبركة ، مصدرا للحب والحسن ، ولذا فانه عاجز عن الابتعاد عن دمشق ، وارض الشام ، واهل الشام :

لا يرتضي الطرف شغلا عن محاسنها ... حتى تعادي فيها المقلة الوسنا
ايقنت اني من اهل الجنان ففي ... دمشق أسكن جنات تفيض هنا
عجبت ممن اتاها كيف يبرحها ... فهل يرى في سواها عن دمشق غنى
ما جنة الخلد الا للذي سكنا ... بها وما النار الا للذي ظعنا
يكاد ينسى غريب الدار موطنه ... في ربعها ويعاف الاهل والسكنا

ويرى من جانب اخر وطنه لبنان واهل لبنان بالصورة التالية :

كيف الحجى يسلم واللب ... لبنان والخمرة والحب
في جو لبنان شذى مسكر ... فكل من مر به يصبو
لم يخط اهلوه وان اخطأوا ... هم نشاوى ما لهم ذنب
الحسن بالحب التقى فيهم ... فالكل منهم عاشق صب
الشعر يجري في احاديثهم ... فهم له منهله العذب
يا جنة ابدعها ربها ... ينبت فيها الحب لا الحب
ملائك اهلك في خلدها ... غذاؤها الرحمة والحب

ولا غرابة في ذلك حينما يرى في العراق كما قرانا ، ويرى في دمشق كما لمسنا ، ويرى في لبنان كما شعرنا ، ويرى ان كل ارض عربية واسلامية وطنه ، وان كل الشعب العربي اهله وعشيرته فهو القائل :

اني امرؤ عربي والعلى نسبي ... في اي ارض ارى عربا ارى وطنا

وحشته وانسانيته

لقد سار الشاعر دروبا شاقة وشائكة ، لقي خلالها الالام والمتاعب والاحزان ، لكنه كان على درجة كبيرة وعظيمة من التحمل والصبر من اجل مبدأه ، ومواجهة المشاكل وحلها باساليب مرنة وجادة ، الامر الذي جعله لا يستسلم لاية عقبة حادة تواجهه ، رغم حساسية شاعرنا الكبير ..

لقد عاش الشاعر معظم حياته بلا شريك ، ولا حتى شريكة تقف معه ، تحنو عليه ، تضمه، تحتضنه، تواسيه، تنجب له ولدا على الاقل.

والامر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان القدر يبعده حتى عن اقاربه وعن اهله وسكناه ، ويقف امامه حائلا دون عودته الى العراق ، امراضه التي تهاجم صحته .. لذا فهو يرسل الشعر بالم وحزن يحكي لنا ومن خلاله واقعه المرير الذي يلمسه ويعيشه فلنستمع اليه :

استقبل الستين مستوحشا ... لا اهل لا مال ولا ولد
لا مسكن آوي له ثابت ... لا سكن لا هند لا دعد
احفاد اصحابي لهم ولد ... وها انا من عمري جد
مشرد ليست له غاية ... في مهمه ليس له حد

الى ان يقول :

لم ادر ايان مبيتي ولا ... ولا اعلم ايان غدا اغدو
في الشيب هل تصلح لي حالة ... ما صلحت والشعر مسود
تعود الشوك على مهجتي ... من بعد ما قاطعها الورد
يسترشد الناس بنوري ومن ... نوري ما لي ابدا رشد
عكازتي من امل واهن ... امشي بها والجسم ينهد

وقد تاثرت الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي الاردنية المبدعة بهذه القصيدة ، فارسلت ابياتا رائعة ، حاولت من خلالها ان تخفف من ماساة شاعرنا الكبير فقالت :

يا شاعري ادميت قلبي بما ... تشكو من الدنيا وتربد
غنيتني لحنا حزين الصدى ... وما رحمت الدمع اذ يبدو
علام هذا الحزن يا شاعري ... وانت لا مال ولا ولد
لا مطمع يغريك لا هاجس ... يشجيك لا قرب ولا بعد
اقضيت دنيا الشر في عزلة ... اليس مناها هو القصد

الى ان تقول :

حنان دعد ترتجي لاهفا ... وكلنا يا صاحبي دعد
فان جهلت الحب في قلبنا ... فانك المسؤول لا الجد
وانني نبع الحنان الذي ... يندى على الاوتار ان اشدو
حياتك البيضاء انشودة ... وقلبك الصافي هو الخلد
ونحن في الدنيا على سعدنا ... تتاشنا الاحزان والجهد
احلامنا كثر والامنا ... كثر وما للمشتكى حد

ويواجهنا امام وحشة الشاعر الصافي ، انسانية الصافي ، انسانيته حينما تقع عينه على مريض او بائس او جائع ، وها هو يصور حالته مع طفلين يتيمين جائعين :

طفلان قد ضم الشقا روحيهما ... فتآخيا وتقاسما الالاما
قد مات في نائي القرى اهلوهما ... قدما وقد نشئا بها ايتاما
جاءا الي وقد نعمت بأكلة ... والجوع اشعل في حشاي ضراما
فاذا الطعام يغص في حلقي ... فكان شوكا في فمي شبحا وعظاما
فنفضت من اكل شغفت به يدي ... لهما وقد حضنا الطعام هياما

الصافي وبعض ما قيل عنه

المس ان معظم الناس تاخذ اكثر مما تعطي ، لكن هناك رجلا مبدعا، هو الصافي ، يعطي ولكنه لا ياخذ على الاطلاق .. وعطاء الاخرين قد يكون عطاء فاسدا ، عطاء منمقا ، عطاء خادعا .. لكن عطاء الشاعر الصافي ، ياتي صافيا حرا بانيا مربيا مبدعا خلاقا متعملقا ، وليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك فحسب بل انه لم يطلب مقابل هذا العطاء الضخم ، اي شيء ، لم يطلب المال ، ولا الفراش ولا الرياش ..

قال شعره من اجل الحياة ، من اجل وطنه وقومه ، من اجل كرامتهم وعزتهم وشرفهم ، من اجل حرية ارضه وتراثه ، ولم يطلب مقابل ذلك جاه ولا مال ، بل انه يشعر ان من واجبه ان يقول ما قاله .

لم يتزلف للوجهاء والزعماء والقادة ، بل عاش حرا شريفا مستقيما كشعره .. كان في امكانه ان يكون تاجرا فيبيع شعره وكلمته ، ويصبح ذا مال وجاه وفراش ورياش ، لكنه لم يرض لنفسه ولشعره هذا المسلك الذي يرضاه العديد من شعراء اليوم ..

عاش طول حياته شريفا ونزيها ، لا يقول الا ما يعتقده ، ويؤمن به ، لذا شرد وتشرد ، وعذب وتعذب ،الامر الذي يجب على كل فرد منا ان يواجه سلوك هذا الشاعر العملاق باكبار وتقدير واجلال .

ولقد قال عنه الكثير قولات سامية ورائعة ، قال عنه الشاعر الكبير الزهاوي :

« السيد احمد الصافي شاعر كبير خليق بالاكبار فهو كوكب وقاد قد طلع في سماء الادب ، بازغا فملأ العيون نورا ، والقلوب سرورا ، وانك لتجد في قصيدته العصماء شعورا تنزه عن التقليد والمبالغة ، ووصفا ساحرا ، وتجد سبكا رصينا ، واسلوبا فاتنا ، والفاظا سهلة ، ومعاني مبتكرة ، وسيكون لشاعرنا النجفي هذا ، شأن في العراق وغير العراق في البلاد العربية، ويذيع صيته كما يذيع ضوء الصباح المسفر».

وقال عنه الشاعر الكبير ايليا ابو ماضي :

« الصافي شاعر تجردت نفسه من المطامع وسمت عن محيطها ، فهي لا تبالي ما اصطلح عليه الناس من عادات وتقاليد ، بل هي تطل عليهم ، وتأخذ في توبيخهم لانهم لا يتجردون تجردها ، ولا يتمردون تمردها .. »

وقال عنه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد :

« انه اشعر شعراء العربية » .

وقال عنه الشاعر الياس ابي شبكة :

« احمد الصافي النجفي ـ هذا الاسم سيعيش طويلا ويخيل الي اني ارى خيال الاسطورة على احرفه . .»

وقال عنه الاستاذ رئيف الخوري :

« لقد تقمصت في الشاعر ارواح شعراء كثيرين فيه روح المتنبي، وفيه روح المعري ، وفيه روح ابن الرومي ، وفيه روح ابي نواس، وفيه روح ابي العتاهية ، وفيه روح ابي الشمقمق .. »

وقال عنه الشاعر الكبير رشيد سليم الخوري :

« انك عندي ابرع من نحت التماثيل الشعرية الزاخرة بالحياة من صخرة الواقع الملموس ، في حين يعقد ادعياء الشعر من (لا شيئهم) صخورا يهوون بها على قلوب الناس وارواحهم .. »

وقال عنه الشاعر الكبير بدر شاكر السياب :

« الصافي عالم قائم بذاته ، متسع الافق بشكل لا مثيل له عند اي شاعر عربي بمفرده لم يترك موضوعا الا وطرقه ، ولا عاطفة من عواطف النفس الا وصورها ، فهو شاعر فلسفة وحكمة وهجاء وسخرية وغزل ووصف وطبيعة وهو شاعر ذاتي الى ابعد حدود الذاتية وموضوعي الى ابعد حدود الموضوعية انه ظاهرة ضخمة في الشعر .. »

وقال عنه الشاعر محمد علي اليعقوبي في قصيدة القيت عنه في الحفل التكريمي الذي اقيم تكريما للشاعر الكبير الصافي في دمشق قال:

نحييه وان نأت الديار ونكرمه وان شط المزار
ونهتف باسمه فنميل تيها كما مالت بشاربها العقار
اذا العربية افتخرت وعزت «فأحمد» عزها وبه الفخار
له قصب السباق فليس يخشى عليه بحلبة الادب العثار

والقصيدة طويلة ورائعة ، ولولا ضيق المجال لما ترددت في اثباتها .

وقال عنه الدكتور يوسف عز الدين :

« من يريد ان يدرس حياتنا في المستقبل فلن يجد مشقة كبيرة في فهم الحياة التي عاشها هذا الرجل من شعر الصافي » ..

وقال عنه الاستاذ عبد اللطيف شرارة :

« انه يعبر بشعره عن حضارة خاصة كطاغور والمتنبي وجيته.. »

وقال عنه الكثيرون اقوالا كثيرة ورائعة، ولكنني اثبت ما امكن اثباته.

وبعـــد

من هنا ـ من « نجد » ـ من قلب العروبة النابض نبعث بتحية ، بل بتحايا جمة ، تصدر من القلب من أعماقنا لشاعر العروبة الفحل الاستاذ الكبير احمد الصافي النجفي .

وهذه الدراسة المتواضعة تحية قاصرة لشاعر هذا الجيل ، ومعلم هذا الجيل ، وفيلسوف هذا الجيل .

يستحق الشاعر المبدع اكثر من تحية ، واكثر من دراسة ، واكثر من تدريس لشعره في مدارسنا وجامعاتنا . يستحق ان نأخذ من حياته العبر ، ومن فلسفته الدروس والحكم ، ومن سلوكه الصمود والقدرة على مواجهة التحديات .

يستحق ان نلفت انظار ابنائنا الى شعر الصافي وادب الصافي ، وفن الصافي ..

يستحق ان يكون اسمه اغنية عذبة يرددها الشيوخ والامهات ، والشباب والفتيات ، والاطفال .. انه انشودة رائعة من اناشيد عالمنا العربي الصاخب ..

انه القائل :

ولي في الشعر مدرسة وشعر وآيات تلوح ومعجزات
اعلمكم بشعري الشعر لكن تعلمكم حياتي ما الحياة

الرياض — عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

حرمان

سأم يحطم خافقي وهوى يعربد في ضلوعي
وصبابة تفني الرغاب المورقات مع الربيع
وطيوف اشواقي العذاب الذاهبات بلا رجوع
أبدا تظل تسربل الاعراق بالوهم الفظيع
حسناء قد نضب الرجاء وضج بي ألم الولوع
هل لي لوصلك غب تشريد الاماني من شفيع ؟
اني هنا اقتات من سأمي مع اليأس المريع
أرنو الى الافق الطعين وقد تسربل بالنجيع
حيران لا امل يلوح وليس من خل سميع
الا الاماني الذاهبات تظل توغل بالسطوع
وتميت أحلام الهوى والشوق في قلبي الوجيع
حسناء قد جفت دماي وثار في الاغماق جوعي
لو ترجعين غدا الي لذبت في حلم الرجوع

بغداد — عبد الخالق فريد

مع الربيع

★

وجه الربيع ، ولا اسائله　　ماذا على القسمات يرتسم
لفح الهجير ظلاله ، ومشى　　يقتص من قلبي ... وينتقم
عفو الربيع ، ففيه ملتمس　　للمجتلين ... وفيه ملتثم
ضحك الوجود على مفاتنه　　حلو الرجاء ، وقطب العدم
كل الوسائم من ازاهره　　تجلو حبيب هواه ، او تسم
واذا سالت على اسمه كرما　　بذل الحياة به ، هو الكرم

ماذا تريد ؟ وما تركت له　　الا الضنى ، يا سقم ، يا ألم
هذا المعذب في .. معدنه　　لحم وفيض خواطر ودم
الجانيات به ، مشاعره　　هل في المشاعر اثم ما يصم
يا مجرم الخطوات ، خل بها　　عذر البريء ، فانت متهم
ان القلوب خواطر ورؤى　　خلف الجوانح ، والمنى حلم
تلك الظلال ، وحسب وارفها　　نعمى ، تهش لها ، وتبتسم
ترك الخيال لها جوانحه　　فصفا الخيال ، وصور القلم
نامت حروف في متارفه　　ريا الهوى ، وتيقظت كلم
لو يدرك النغم الجريح بها　　لمن الهوى والحب ، والنغم
عندي ، وعند جوانحي خبر　　عنه ، ولكن ، فوق ما علموا
لي غربتان على جزائره　　وقرابتان : الحب ، والالم

قل للربيع ، ولا اعاتبه　　اين البشاشة ، اين ما زعموا
اين الضحى : لفت غلائله　　خضر السفوح ، ولفت القمم
اطبقت جفني والطيوف به　　تنثال هازجة ... وتزدحم
هي وحدها اغلى عرائسه　　لا الدهر يرخصها ، ولا القدم
لي فيه حسن اسمر وهوى　　هامت به الاخلاق والقيم
يزجيه من اسرار ملهمتي　　سر عن العشاق مكتتم

طرطوس – سورية　　**احمد علي حسن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أريد هذا المقعد ..

وأشار الى المكان على الجدول ، تطلع اليه المسؤول قائلا :

ـ انه مشغول .

ـ خلفه .. بجانبه .. الذي يليه ...

ـ الصف الخامس ؟ ..

ـ اجل الـ ... الصف الخامس طالما انه المكان الوحيد الشاغر ، البديل الوحيد .

اجلسها الى جانبه، قرب النافذة، تأملها طويلا ، وخفق القلب طربا .

خمسة صفوف من المقاعد تفصله عنها ، خمسمائة ميل ، المسافات تبدو قريبة ما دامت بجانبه ، لم تفارقه لحظة ، جوهرا في كل ذرة من كيانه .

التفت نحوها ، تحجرت الملامح الضاحكة ، كان شابا في مثل سنه تقريبا ، مهندسا تخرج حديثا ، التقي به قبل اليوم . يد المهندس تمتد اليه بلفافة تبغ ، اخذها ، هز له برأسه شاكرا ، أجال النظر في « الباص » ، ـ مدينته الصغيرة هنا ـ فيه اكثر من وجه يتبادل واياه المعرفة .

افتقدها ، لم يجدها ، تاه في المدينة الصغيرة ، يبحث عنها فوق المقاعد واستقرت عيناه حيث كانت تجلس ، لقد احتلته سيدة بدينة مسنة ، بدالة شعرها الاغبر بعيد قدرا باهت اللون .

تنهد ، غابت عنه العينان الذكيتان ، والشفتان الربانتان ، وحديث قدر له ان يبدأ فلا ينتهي .

انزل المحفظة عن الرف ، وضعها في حجره ، فتحها برفق ، استرق اليها نظرة حانية ، اخرج الكتاب ، ضمه الى صدره ، قصة عمره التي بدأ بها قلبا ، وفكرا ، وروحا سفحها جميعا على الورق ، مع نور عينيه ، واعصابه ، واحلامه ، واخذ يقلب صفحاته ، أحس به يقفز بين يديه فرحا وشوقا للقياها .

هل ستقرؤه حقا ؟ .. واين تستقر كلماته .. حروفه .. في القلب ، ام العينين الضاحكتين ، ام تراه قد سبقه الان اليها فامتزج بروحها ، وفكرها الالمعي ؟ ..

ام انه اضحى اغنية ترددها شفتاها ؟ ..

ويرتفع من المذياع صوت مخملي، « ... يا مرسال المراسيل عالضيعة القريبة .. خدلي بدربك هالمنديل واعطيه لحبيبي .. »

وهو ماذا يملك ليعطيها ، غير عمر صاغه في كتاب بعد ان نفضت عنه يداها اللائكتيان غبار ثلاثين عاما من الكسل والضياع .

ويعاود صوت « فيروز » يردد الاغنية من جديد .



بقلم محمد رؤوف بشير

التفت الى جاره المهندس يسأله :

ـ هل وصلنا « حمص » ؟ ...

وخيل اليه انه ابتسم ساخرا وهو يقول :

ـ كلا لم نصل .. في « حمص » يتوقف الباص نصف ساعة للاستراحة .

وكأنه اراد ان يضيف :

ـ وما دمت محشورا هنا بجانبك لم اتحرك .. ولم ينزل احد من الركاب ، فهذا يعني بوضوح اننا لم نصل .

اعاد الكتاب الى المحفظة ، وجلس صامتا .

السماء تبدو مكفهرة غاضبة ، والغيوم الدكناء تسيل على النوافذ الكبيرة مطرا غزيرا ومن بعيد يلوح نهر « العاصي » رهين السد عاليا يكاد يطفي عليه ، ويقطع الطريق .

غمرته موجة من الكآبة ، واخرج بطاقة السفر من جيبه ، رقم مقعده ثلاثون ، الرقم الذي لازمه في سجل ميلاده قيدا من التشاؤم لا سبيل للفكاك منه، لقد جاء الى الدنيا معه، ولدته امه هو الاخر ، فهو توأمه الذي لن يفارقه ابدا.. وبرقت في ذهنه فكرة : « الرستن » منتصف الطريق ، وبعد ثلاث ساعات سيكون قد وصل ، وبذلك يتيسر له فرصة اللحاق بها قبل انتهاء وقت العمل .

واشرقت الفرحة في قلبه ، وابتسم المسير .

فكره يصحو ، الغموض يتلاشى ، عيناه تقرآن احجار المسافات ، تعدها، تختصرها، تنظر الى الساعة، الوقت يمضي بطيئا ، واشارات المسافة حلم لا يدرك الا بالتعاويذ والصلوات .

ست ساعات لم يتوقف الحديث وهو يجري بينهما ، عيناه لا ترتويان ، تتيهان في وجهها الطفولي ، في دوامة الخدر اللذيذ .

القلب يقود الكلام يدفعه كشلال نور ، واللسان يطيع ، يفيض بالمعجزات ، يجيب عن الغيبيات ، ما مضى منها ، وما هو آت .

ـ نحن خمسة اخوة .. صبيان ... ثلاث بنات .. انا اكبرهم ..

واشرقت الدهشة في عينيها الواسعتين وهي تقول :

ـ نحن خمسة اخوة ايضا .. صبيان .. وثلاث بنات ...

ـ ... توفيت والدتي وانا صغير ...

اكمل بغصة ، واحس بالجملة الاخيرة تسقط ثقيلة حادة ، وهي تروع الوجه البريء « ـ أتراها فقدت هي الاخرى احد ابويها .. ام



أنه احساس عفوي بالمشاركة العميقة في حزن ابدي » ..

– كنت تلميذا متفوقا ... وكانوا يلقبونني بـ « صاحب المواهب المتعددة» وان كان اقربها الى نفسي، ان اغدو اديبا ... كاتب قصة .

– وهل كتبت فعلا .. ام بقيت في حدود الاحلام ..

وابتسمت ...

– كتبت ... ونشرت بعض قصصي .. في مجلات مرموقة .. ولكنني لا اعرف كيف توقفت .. ولماذا .. لاجد نفسي بمرور الزمن تائها ضالا .. عاطلا عن كل موهبة .. مجرد مخلوق عادي .. لا شيء البتة .. ان اي انسان بمقدوره ان يدرس ويحصل على الشهادات العالية .. ولكن نادرون جدا اولئك الذين يستطيعون ان يكونوا فنانين حقيقيين ...

وتوقف ، ما باله يتحدث كالطفل الصغير ، ان انفتحت مغاليق فؤاده، كم من النساء التقى ، وكم مرة سافر على الطريق من بلد لاخر ، لم يشعر مرة بهذا الاحساس الذي يفيض بكل دقيقة من عمره ، ونظر الى عينيها وكأنه يقرأ قصة حياته فيهما كلمات ، وسطور ... فلم يتابع ...

ولمحت في نظراته اسئلة حائرة ، تتردد من خلال غيوم الاسى تستنطق شفتيها كطفل صغير :

– اما انا فأوسط اخوتي ... طالبة في السنة النهائية لكلية الطب .. بعد ايام سأكون طبيبة .. و ..

وتوقفت ، هي الاخرى بدأت تحس بانزلاقها العفوي في متاهات خضراء ربيعية ...

شيء ما يجري في عروقها دافئا جارا لينعكس ورديا على خديها ، ابتلعت ترددها ، اخفقت انفعالاتها في مكان ما خلف أهدابها الطويلة الظليلة ، رسمت قناعا جديا على وجهها ، وغيرت دفة الحديث :

– يخيل الي ان خير وسيلة تجد نفسك فيها ثانية هي ان تعود الى الكتابة من جديد لقد تنهدت عند ذكرك الادب الذي أضعته .. لا بد وانه اهم شيء في حياتك ..

ليست طبيبة جسم فقط ، بل هي طبيبة النفس ايضا .. ابن سيناء الجديد هنا بجانبه ..

وانتبه على ضجة المدينة الكبيرة فجأة ، رجلا عاقلا يفكر ، انتابه نوع من الفزع ، انه يخاف ، والخوف لا يأتي الا مع الحب والحب في بلده امر رهيب ، ممسوح مثل اكثر المفاهيم الجميلة والسامية .

نزل من الباص ، كان الطريق الوحيد امامه ان يهرب بعيدا عنها ، عن نفسه التي وضعها بين يديها عارية مكشوفة ، وهو ما يكاد يعرفها الا منذ ساعات قليلة على الطريق قد لا يجتمع بها فيه مرة اخرى .

ولاذ بالفندق ، بزملائه ، ومعارفه الكثيرين ، أغرق ليله في ضياع المدينة الكبيرة ، ولكنها كانت على الدرب معه تستمع اليه ، وترشده لتنقذ ما غرق من روحه وكاد ان يتلاشى .

لا يذكر كيف انطلق في الصباح الى العمل ، الى عمله الذي سافر من اجله وشعر وكأنه شاة علقت من رجلها في وضع مقلوب فلم يدر ما انجز منه وما ابقى لليوم الثاني .

كلا لم يعد يستطيع الفرار ، لم يعد مجديا ، فالمرء لا يستطيع ان يهرب من ذاته من اغوارها البعيدة .

وهكذا سار الى المستشفى ضعيفا وجلا ، لا كمريض ، وانما كفأر يسعى الى المصيدة .

العينان الضاحكتان اغراء طعم شهي ، ودعوة لجوج للسقوط في قرارة الشرك .

وبقي الكلام على شفتيه باردا جبانا وهو يحاول ان يستر ما فضحه حديث الطريق ، ولم يدر انه يزيد به نفسه تعرية وفضحا ، ليثبتها في ذاكرته وخلاياه دما لا سبيل الى تغييره او الخلاص منه .

وكان لقاء ثان ، ولم يبق لديه ما يخفيه او يهرب منه ، فأخذ يسكب حياته قطرة قطرة على راحتيها ، منذ ان التقا ابواه .. منذ ان غرساه في مزرعة الحب ، لم يبخل بشيء ، لم يكذب ، وهل يكذب القلب عندما يتكلم ! ..

انتهى الوقت المحدد لعمله في مدينتها ، انتهى قصيرا ، سريعا كحلم مضطرب غير واضح المعالم ، ولم يكن مفر من العودة .

وعندما ودعها على باب المستشفى كانت تدرك بغريزة حواء الواثقة ، انه سيعود الى الجنة في السماء ، او الى الارض ، او قرارة الجحيم ، لكنه سيعود على اي حال .

يد المهندس تمتد باللفافة الثانية، اخذها ، وضعها بين شفتيه ، وبدأ يمجها وهو يرقب الدخان المتصاعد في خطوط متعرجة الى سقف « الباص » .

« الباص » نفسه لم يتغير ، والمضيف الاسمر يوزع السكاكر باسما ، وبدا له وجهه حبيبا الى قلبه ، وعندما سأله اذا كان يرغب في شيء ، كاد ان يحتضنه ويقول ليته يضعها بجانبه وليطول الطريق ، ويطول الى نهاية العالم .

المدينة الكبيرة تبدو ملفوفة بالغيوم باردة كالحة ، والانوار تتلألأ من خلال رذاذ المطر كيراعات صغيرة في ليلة مظلمة ، واحساس مختلط من التفاؤل والكآبة يغمره ، والمياه تسيل في الشوارع كالانهار.

نزل من « الباص » وتبعه المهندس ، اوقف سيارة اجرة طلب من السائق ان يوصله الى الفندق الذي اعتاد ان يقيم فيه ، ولكن السائق اجاب متضاحكا بأن ذلك لا يمكن تحقيقه الا سباحة بعد ان غمرت السيول كل ما يحيط به .

واخذت البرودة تسري في بدنه وكأنه غارق الى منتصفه في مياه تلك الليلة الشتوية القارسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضع حاجياته في فندق مرتفع لا يقتضيه الوصول اليه ان يجيد العوم ، ودون ان يستريح لحظة واحدة ركض يلهث الى مكان عملها .

المستشفى الكبير بادي النشاط، والبواب بردائه الابيض قد ارتد سؤاله عليه وهو يقفز السلم وثبا الى جناحها في قسم الجراحة ، رائحة الادوية لم تعد تزكم انفه ، وانات المرضى ضحكة الحياة واشراقة الامل ، كل ما في المستشفى رائع وجميل كحديقة في يوم ربيعي باسم .

على باب غرفتها وقف يسترد أنفاسه اللاهثة ويصلح من هندامه ، تذكر لاول مرة انه في مكان رسمي، مكان عام . طرق الباب برفق ، فتحه ودخل ، تسمر في مكانه ، ولا بد انه قضى وقتا منتصبا كالتمثال قبل ان تسأله احداهن عن غايته :

ـ عفوا ... اين زميلتك « الدكتورة » ؟ .

نظرت اليه طويلا وهي تتفحصه كمن التقط سرا ثم اجابت :

ـ سافرت .. ؟ .. منذ متى ؟ .

ـ مضى عليها ثلاثة ، او اربعة ايام ..

« لقد عادت اذن ؟ .. هي الان في مدينته التي يعيش فيها ، وقد مضت عليها أيام .. وأيام .. لم تسأل عنه ، لم يلح عليها السؤال ، لم يطف بذهنها ، وبقي قريبا بعيدا، وهو هنا في مدينتها يزحف اليها تحت الامطار في الطين البارد » ..

ـ ومتى ستعود ؟ ...

ـ ربما بعد ثلاثة او اربعة ايام .. حصلت على اجازة أسبوع لزيارة شقيقتها ...

« ثلاثة .. او اربعة ايام .. المدة اللازمة لبقائه وانجازه عمله ، حتى اذا ما رجع الى مدينته كانت في طريق عودتها ... لا لن يمكنه البقاء اكثر والا كلفه ذلك لقمة العيش حياته القصيرة ذاتها .. ثم من اجل من .. ولماذا ؟ .. » .

وخرج لا يلوي على شيء .

الريح تصفر في وجهه ، تلسعه ابرا ، والطريق موحش كئيب ، وبرك الماء تنتشر فوقه سوداء موحلة، وغرفته في الفندق التعس رمادية باردة ، واوصاله ، ووجهه لم يعد وجهه ، تطلع اليه في المرآة ، كان حطاما ، بقايا حطام مومياء . الكتاب على الطاولة وحيد حزين ، تئن حروفه وكلماته بين دفتي غلافه الخانق ، لن تطالعه عيناها الطفوليتان ، لن تهمس به شفتاها ، ولن يتسلل دما حارا الى قلب لا وجود له في صدرها .

« ماذا طلب منها ؟ .. كم دفعت من قيمته في سوق النخاسة ، من سعره ثمنا لعربه ، ثمنا للانسان الذي وضعته على طاولة التشريح حيا ، ففمرته اللذة ، وطفت عليه السعادة ، بينما كانت يداها الماهرتان تعملان فيه مبضع الجراحة الحاد كيفما شاءت ، واليوم تريد حرمانه حتى من الوهم الجميل على مشرحة السعادة الكاذبة صحيح انه لا يستطيع ان يقدم اليها الكثير ، فهو لا يملك شيئا سوى الحب والوهم الكبير ، وخيالا ينسج من عواصف الشتاء ربيعا يسير وقلبا ينساح على الورق كلمات وكتاب .

ارخيصة هذه كلها ؟ .. لا تساوي حلما مخادعا تقدمه حواء بتفاحة فجة لم تدفع ثمنها في يوم من الايام، الامر كله بسيط عادي ، لا يستحق ان تهرب منه كالطيور المهاجرة من بلد الى بلد ، سيعود الى مدينته ، الى بيته ، لن يسافر في « الباص » ولن يتبعه السؤال عن المقعد الذي كانت تجلس عليه بجانبه ، اما عيناها الذكيتان وشفتاها ، فلن تطوف بخياله .. فما اكثر الاوهام على الطريق ...

ـ اريد المقعد رقم ثلاثين ..

واشار الى المكان على الجدول ، تطلع اليه المسؤول وقال :

ـ انه مشغول ...

ـ اريد مقعدا خلفه ..

ـ لا يوجد ..

ـ الذي يليه .. بعده .

ـ في الصف الثامن ؟ ..

ـ اجل في الصف الثامن ..

وابتسم قاطع التذاكر وهو ينظر الى وجهه نظرة ذات مغزى .

كانت هناك بجانبه ، انسانة تشبهها ، جلست على المقعد قبله ، تأملها طويلا ، ولاول مرة في حياته تمنى لو انها استحالت الى رجل ، مهندس يجلس بقربه صامتا ، ويقدم اليه لفافات التبغ ، لعله يعيد اليه وهما عاشه أو يبعد عنه وهما جديدا قد يتعلق به كالسراب .

حلب محمد رؤوف بشير

رقص القلب

رقص القلب من الوجد رقص كهزار عالق طي القفص
وجهها كالبدر الا أنه كلما ازداد كمالا ما نقص
قصة .. ما بيننا اخفيتها قصة الحب لمن أحلى القصص
لم أمتع شفتي من ثغرها غصة .. والحب هم وغصص
فرصة ضيعتها من شقوتي ولكم ضيعت في العمر الفرص !

زحلة ـ لبنان رياض معلوف

شاعرتي، اعذريني

شاعرتي الحبيبة الحزينة
شاعرة الشرود في مواكب السكينة ..
شاعرتي ، اعذريني
لأن في قرارة الجفون
هواك ، يا أميرتي الحزينه !

حبيبتـــي ،
وليس في خاطري الاساءة
اليك ، يا شاعرة البراءة
ان رحت أنعي القبح والرداءة ..

وأنت للخيــال
أميرة الجمال والدلال ،
وشعرك الملهم لا تمسه الاساءة !

حبيبتـي
لا تغضبي للهجتي الصريحة الجريئة ،
للغتي البسيطة البريئة ،
لأنني ، سلمت يا رفيقه
أواجه الحقيقه
وسادة « التجديد » لا يدرون ما الحقيقه !
لأنني أعرف ما أريد
أعرف ان اقول ما أريد !

الشعر ، يا اميرتي الجميله ،
الشعر كالطفوله ،
كالعطر في براعمه الخميله ،
كالهمس في جفونك الكحيله !

وليس من مكـان
لبيت شعر كالح جبان ..
وليس من مكان
لشاعر يطوف في الظلال
يبشر الحياة بالزوال !

الشعر يا أميرتي الجميله
كالحب ، كالطموح ، كالبطوله
وليس للفنــاء
قصائد ، حروفها ضياء ،
وملعب لبوحها
الســـماء !

وبعد ، يا شاعرة الحنان ..
الشعر ، ان يجاوز الزمان والمكان
وان يجاوز القوافي الغناء والاوزان
فلا يصح ان يجاوز الانسان
وأن يسفه الشعور والوجدان !

الشعر ، ان جرد من عرائس الازاهر
وزكم الانوف ، من روائح المقابر
وصير البشــائر
نعيب شؤم في فم الغراب
والقمم الاحـلام للسراب ..
الشعر ان يحطم الجبــاه
فليس شعرا قيل .. للحياه !!

ومرة ثانية أقدم الاعذار
لأنني أحب قلبك البريء
كالنهـار ..
لأن ليس في خاطري الاساءة
اليــك
يا شاعرة البراءه

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عباس محمود العقاد

مع العقاد بين علمه وعقله

بقلم لطفية الشهابي

***

اذا كان الخليل بن احمد قد رأى ان علم ابن المقفع اكثر من عقله ، واذا كان ابن المقفع قد رأى ان عقل الخليل اكثر من علمه ، فان قارىء كتب العقاد ليحار في المفاضلة ، وربما لا يستطيع ترجيح علمه على عقله ، ولا عقله على علمه ، وذلك أن لكليهما تأثيرا كبيرا على القارىء يجتذبه ويستهويه ، ويفيده ويوسع افاق تفكيره ومداركه .

ومن يقرأ كتب العقاد يشعر بأن عقله وعلمه يفرضان نفسيهما على كتابته ويظهران بجلاء من خلال سمات اساسية واضحة في كتبه . واولى هذه السمات : كثافة المادة العلمية . وثانيتها : تلك الموسوعية والشمول في المعرفة . وثالثتها : المنطقية المساعدة على الجدل والمناقشة .

ولتوضيح فكرة كثافة المادة العلمية قد يجدينا ان نقول : ان قارىء اي كتاب من الكتب ربما يخلص من قراءته ويعمد الى تلخيصه في كثير من السهولة واليسر، لانه لا يزيد على افكار اساسية لجأ كاتبها الى مناقشتها وشرحها وتبسيطها في شيء من التكرار والالحاح ، ويمكن للقارىء ان يستوعبها وان يعيدها الى حجمها الاول الصغير في مخطط موجز بسيط . اما كتب العقاد فربما تستعصي في كثير من اجزائها وانواعها على التلخيص . وليس ذلك بسبب الغموض الذي قد يحسه القارىء في بعضها ، وانما بسبب كثافة المادة العلمية فيها على ما اظن ، وذلك بدليل ان القارىء يشعر احيانا بامكانية ان يشرح ويوسع ويبسط حتى يزداد فهما وتعمقا ، لا ان يلخص ويوجز . فنتاج العقاد الادبي هو خلاصة ما حواه ذلك العقل الكبير من علم واسع ومعرفة فذة وتجارب دقيقة . ومن اين للقارىء ان يلخص خلاصة وضعها العقاد . ولكن قد يسهل بعض الشيء دراسته وفهمه ، الحاحه على الفكرة لا في المقال الواحد او في الفصل الواحد ، وانما في مقالات متعددة او زوايا مختلفة من كتبه .

واذا كانت موسوعيته تتجلى في تنوع مؤلفاته وكثرتها من جهة ، فاننا قد نستطيع استشفافها من خلال كتاب واحد ، من جهة ثانية . ومن الكتب التي تظهر فيها موسوعيته : يومياته وكتابه الذي جمع فيه عددا من مقالاته واجوبته على اسئلة القراء ومناقشته لبعض ما يعترضه من آراء وهو كتاب « يسألونك » . وقد يكون الكتاب الواحد من هذا النوع اقدر على ابراز موسوعية مؤلفه من الكتب الاخرى ذات الموضوع الواحد . ذلك لان القارىء في احد تلك الكتب يخيل اليه ان المؤلف واسع الافق في الموضوع الذي هو فيه ، وربما لم يكن كذلك في غيره . اما الموضوعات المتفرقة التي حواها كتاب « يسألونك » مثلا فانها تعكس سعة اطلاع كاتبها في جوانب مختلفة متباعدة . ويرى القارىء نفسه بعد انتهائه من قراءته ، لا كمن زار بيتا وجلس في غرفة واحدة مرتبة وانيقة من غرفه ، وانما كمن زار بيتا وتجول في كل جوانبه واطلع على ضروب التأنق والترتيب والثراء والفن الذي يحتويه .

فنحن ننتقل مع الكاتب من ادب حديث الى اخر قديم ، ومن زاوية اجتماعية الى قضية لغوية ، ومن حديث عن مشكلة عالمية الى اخر عن قضية وطنية محلية ، ومن علم الى فلسفة ، ومن لغة الى تأمل . وقد يذكرنا هذا التنوع وتلك الموسوعية في معالجة افكار الكتاب بتنوع مادة كتب الجاحظ ، مع فارق اساسي واضح وهو ان الجاحظ اورد مادته المتنوعة بطريقة الاستطراد المشعثة المنسجمة مع ظروفه وعصره ، وان العقاد عمد الى جمع مقالاته المتفرقة واجوبته المختلفة فكان لديه تنويع منسق مقبول .

واما المنطقية فانها لا تفادر كتابة اديبنا هذا في اكثر ما كتب ، وهي في ظني التي ساعدته على الجدل والنقاش. فكل شيء عنده له سبب . ان ناقش انطوائيته في كتابه « انا » لم ينس أن يبين اسبابها ، وهي عنده « الوراثة ـ الطفولة التي عاشها ـ وتجاربه في الدنيا » . وان تحدث عن ايمانه بالله ارجعه الى « الوراثة والشعور والتفكير الطويل » . وحين يذكر الاسباب التي جعلت منه كاتبا

يرى انها « التشجيع والظروف والمثابرة » . واذا تكلم عن فلسفته في الحياة راى ان فلسفة الحياة تستمد من « الطبع الموروث وتجربة الحوادث والناس ، والدرس والاطلاع » . تلك نماذج من منطقيته وارجاعه كل شيء الى اسباب معينة اوردها من كتابه الذي جمعت مادته ونشر بعد وفاته باشراف طاهر الطناحي .

وليست مقالاته في « يسألونك » بأقل منطقية مما رأينا . فقد اراد مثلا أن ينفي ما وصفنا به الغربيون من عاطفية وخيال فسلك الى ذلك اسلوبا جدليا عقليا منطقيا . وكذلك فعل حين احب ان يثبت ان في مصر فلسفة وان الفلسفة خير وليست شرا كما يتوهم بعض الناس ، وحين ناقش قضية الارادة والعمل ليخرج منها الى انه لا يمكن ان يكون هنالك عمل بغير ارادة ، فاذا اردنا عملنا ، واذا ضعفت ارادتنا ضاعت اعمالنا ، وحين ناقش قضية تفضيله الشعر على القصة . ولا تكاد تخلو مقالة من مقالاته من هذه المنطقية وتلك التعليلات بذكر الاسباب واستنتاج النتائج .

وهذا لا يعني ان كل ما يقوله العقاد صحيح لا شك فيه ، وانما يعني انه يأخذنا بهذه القدرة الجدلية الفياضة فيكاد ينسينا كل شيء اخر حتى افكارنا المعارضة لفكرته ، وذلك لكثرة ما يضربه من الامثلة وما يأتي به من الادلة والبراهين المنطقية .

ومنطقيته هذه قد تظهره بعيدا عن الانسياق العاطفي وراء افكاره ، وعن الحرارة الاسلوبية التي تخلقها العاطفة في اكثر الاحيان . وابرز ما تتميز به عقلية العقاد من خلال كتابته هذا الكبرياء المفرط الذي يقربه صراحة في الفصل الاول من كتابه « انا » ، ولكنه يعلله فيحسن التعليل حين يرى ان كبرياءه ليست على الضعفاء او الفقراء او المساكين ، وانما هي ردة فعل على المتكبرين المتغطرسين المتعالين . وربما كان شعوره بسعة عقله وعلمه باعثا فيه هذا الكبرياء . هذا بالاضافة الى حبه للحرية والانطلاق . فهو اذا مما تحلى به من مميزات شخصية لا يمكنه الا ان ينقم على مبدأ يقيد حريته او يسلبه شيئا من عظمته وشموخه الذي بناه بعصاميته وعبقريته . انه يؤمن اشد الايمان بالمواهب الفردية ، ولذلك فهو يكره ان يتساوى موهوب وغير موهوب ، لان هذا الفرق وجد بين الاثنين بالفطرة والطبيعة .

ومنطقية العقاد وحبه الايجاز وانطوائيته كل ذلك أبعده عن سرد حياته الذاتية في ترجمة تفصيلية ، واكتفى ببعض الفصول المتفرقة التي عكست شيئا من جوانب هذه الحياة . اذ ليس كل ما يمر به الانسان ، وان كان هاما ، يمكن أن يعلل تعليلا منطقيا . فكيف يستطيع العقاد وهو على ما هو عليه من عقل انطوائي ، ان يبسط حياته كما بسطها ميخائيل نعيمة في « سبعون » واذا فليكتف بحديث موجز عن نفسه وابيه وامه وبلدته وبعض ملامح طفولته وذكرياته واساتذته والعوامل التي جعلته كاتبا ، ثم اعماله .. الى اخر ما هنالك من مباحث موجزة مركزة حواها كتاب « أنا » .

وكأن ما تميز به من جد متصل وتفكير واسع جعله لا يسرد الفكاهة ولا يورد النادرة الا حيث يكون لها مكان عقلي في كتابته . فبينما نحن في بحر من التفكير ، وهو يدخلنا مع صاحبه ارجاء مكتبته اذا به يضحكنا حين يرينا ذلك الصاحب يخلع نعليه عند باب المكتبة ويتهيب ان يمد يده الى الكتب لانه لم يكن على وضوء . وان هذه النوادر لقليلة الوجود في كتابته ، وربما كانت عنده من بذخ الكتابة وهو زاهد بالبذخ والحطام مهما كان نوعه .

وايجازه الشديد وتكثيفه لمعلوماته هو الذي جعله ، في اعتقادي ، يأنف من كتابة القصة وقراءتها رغم اقراره بحاجة الناس اليها ، وكيف يفعل ذلك وهو يرى ان ما تقوله في خمسين صفحة يقال في سطرين . وهذا برهان اكيد على التكثيف العلمي عند العقاد في كتابته .

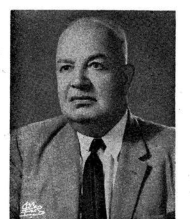
ولقد ابعده عقله عن التشاؤم كما ظهر في كتابه « انا » حين أشار الى تغلبه على ما أشيع وعرف من تشؤم ابن الرومي وتشاؤمه ، وحين ذكر ان رقم منزله هو (١٣) وهو الرقم الذي يتشاءم منه الناس ، وحين وضع تمثالا صغيرا للبومة في بيته متحديا ما يقال عن طالعها السيء .

وان كل ما سبق نقاشه من مميزات واضحة في كتابة العقاد ونتاجه العقلي لن ينسينا شيئا من الحديث عن اسلوبه اللفظي الذي لا بد أن يتأثر بتلك الميزات . فالقارىء لا يجد تصنعا ولا تكلفا ولا تنميقا في الكتابة ، وانما هي الحروف والكلمات المفصلة على قياس المعاني تفصيلا دقيقا ، بل كثيرا ما وجدناها في بعض الاحيان تضغط هذه المعاني بين أطرها وجدرانها حتى لتصاب الكتابة بشيء من الغموض . فانطوائية العقاد من جهة ، وتكثيفه لمعلوماته من جهة ثانية ربما كانا سببين واضحين لما نلمسه في بعض عباراته من غموض رغم انصرافه الى الالفاظ السهلة والجمل البسيطة ، وان طالت في بعض الاحيان ، ورغم بعده الشديد عن كل انواع الصناعة المقصودة المتكلفة .

ونخلص الى القول بأن علم العقاد وعقله يشكلان كفتي ميزان يصعب تغليب الواحدة منهما على الاخرى . وان ذلك العقل الذي استوعب كل هذا العلم ومحصه ودقق فيه واحسن عرضه علينا في مجلدات كثيرة لجدير ان نستفيد من نتاجه عقلا وفكرا واسلوبا وخيالا . فاحرى بنا ان نقرأ العقاد ونستوعب كنه ما اراده هذا الكاتب العظيم في خلاصة تجاربه واطلاعه وتفكيره .

دمشق — لطفية الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

أولو بأس

ويقولون : العرب أولو بأس شديد . و (أولو) جمع بمعنى ذوو ، لا واحد له ، وقيل : هو اسم جمع واحده (ذو) بمعنى صاحب ، كالغنم واحده شاة . واعرابه بالواو رفعا ، وبالياء نصبا وجرا .

وتكتب كل المعاجم وكتب الاملاء هذا الجمع (أولو ، أولي) بالواو بعد الهمزة . وبما أن (الواو) هنا هي مثل واو (عمرو) ، تكتب ولا تلفظ ، وبما أننا ليس لدينا مبرر املائي لوضع الواو بعد الهمزة في (أولو و أولي) مثل مبرر وضع الواو في آخر كلمة (عمرو) ، للتفريق بين هذا الاسم و (عمر) ، فانني أرى أن نكتب هذا الجمع في حالات الرفع والنصب والجر ، دون واو بعد الهمزة ، فنقول ألو بأس ، وألي بأس .

فما هو رأي مجامعنااللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط ؟

اراد أن لا يتكلم

ويقولون : أراد ان لا يتكلم . والصواب : أراد ألا يتكلم . وقد قال ابن قتيبة : ان الادغام واجب اذا كانت (أن) عاملة في الفعل ، أي ناصبة . فان لم تكن (أن) عاملة في الفعل ، لم تدغم . نحو : علمت أن لا تقول (بضم لام تقول) لانها تكون مخففة من الثقيلة ، والتقدير : علمت أنك لا تقول .

اذن

ان مدحتني اذن أمدحك (بفتح الحاء) . والصواب : ان مدحتني اذا أمدحك (بضم الحاء) ، لان اذن لاتنصب الفعل المضارع الا اذا كانت في صدر الجملة ، وكانت متصلة بالفعل . فاذا قال لك احدهم : أريد ان أمدحك قلت له : اذن أشكرك ، بنصب المضارع ، لان الفعل بعدها خالص للاستقبال ، وليس بينها وبينه فاصل .

وينصب الفعل المضارع أيضا بعد اذن اذا فصل بينهما بالقسم ، أو لا النافية نحو : اذن والله أشكرك (بفتح الراء) . وقول الشاعر :

اذن والله نرميهم بحرب تشيب الطفل من قبل المشيب

بنصب الفعل (نرمي) . ونحو : اذن لا أزورك (بفتح الراء) . أما كتابتها فقد أوجب (الفراء) كتابتها بالنون اذا نصبت الفعل المستقبل، فاذا توسطت ، وكانت ملغاة كتبت بالالف (اذا) .

استأنف التدريس

ويقولون : استأنف الاستاذ فلان التدريس بعد أن انقطع عنه عامين . والصواب : عاد الاستاذ الى التدريس ... لان معنى استأنف : ابتدأ .

ومثله : استأنف المحامي القضية . والصواب : بدأ المحامي القضية ثانية ، أو : نقل المحامي القضية الى محكمة الفصل ، وليس : الى محكمة الاستئناف .

أبناء آوى وأبناء عرس

ويجمعون : ابن آوى وابن عرس على أبناء آوى وأبناء عرس . والصواب : بنات آوى و بنات عرس ، لان الابن من غير العاقل يجمع بالالف والتاء .

يا أبتي

ويقولون : يا أبتي ! والصواب : يا أبت ! لاننا عندما حذفنا الياء من : يا أبي ! عوضنا عنها بالتاء ، ولا يجمع بين العوض والمعوض عنه . والمختار في نداء الام والاب أن يقال : « يا أمه (بتشديد الميم المفتوحة) ويا أبه » موقوفا عليهما بالهاء . ويستحسن أيضا أن نقول : « يا أبت ويا أمت بكسر التاء في كلتيهما ، وضم الهمزة وتشديد الميم المفتوحة في ثانيتهما » و « يا أبت (بفتح التاء) ويا أبتاه » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقيته بالامس

ويقولون : لقيته بالامس في السوق . يريدون بكلمة الامس اليوم الذي قبل اليوم الذي هم فيه . والصواب : لقيته في السوق أمس، لان أمس (بكسر السين) اذا دخلته (أل) ، أريد به يوم من الايام الماضية .

البزليا

ويقولون : البزليا أو البزاليا طعام لذ . والصواب : البسلة (بكسر الباء والسين وتشديد اللام المفتوحة) أو البسلى (بكسر الباء والسين وتشديد اللام المفتوحة قبل الالف المقصورة) .

بقدونس

ويقولون : بقدونس . والصواب : مقدونس . وهي مأخوذة من كلمة مقدونيا .

برغوث

ويطلقون على الحيوان الطفيلي المزعج اسم برغوث . والصواب : برغوث (بضم الباء) .

برسيم

ويطلقون على نبات العلف اسم برسيم . والصواب : برسيم (بكسر الباء) .

زهــرة

مهداة الى الاستاذ الجليل الدكتور طه حسين
عميد الادب العربي في عيد ميلاده الثمانـين

عامر محمد بحيري
عضو لجنة الشعر في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب

★

عشـت الثمـانـين حـره   عشـها ثمانـين مـره
وأسـعد بكـل صبـاح   كالـورد يهديـك عطـره
فـي صحـة ، وهنـاء   ونعمـة ، ومسـرة
تضفـي عليـك مـدى الـدهـر ، فـي أصيـل ، وبكـره
وتغمـر الشـمس روض الحيـاة .. لينـا ، وخضـره
فيزدهـي الكـون حسـنا   وينشر الـروض سـحره
أنـت الحيـاة لجيـل   شـق المسالك وعـره
أنـت الضيـاء لليـل   ما زال يرقـب فجـره

البخـور

ويطلقون على الشيء الذي يعطي رائحة ذكية حين نحرقه اسم بخور . والصواب : بخور (بفتح الباء وتخفيف الحرف الثاني)

التمر هندي

ويقولون : أحب شراب التمر هندي . والصواب : .... التمر الهندي . فالنعت يتبع المنعوت في التعريف .

نقـداء بنـاءا

ويكتبون الهمزة متلوة بالالف في قولهم : كـان نقـده بنـاءا . والصواب : كان نقده بناء (دون ألف بعد الهمزة) .

بعامة و بخاصة

ويقولون : العـرب بعامة ، والفدائيـون بخاصة ذوو شـجاعة فائقة . وهذه الجملة فصيحة ، ولكنني أفضل استعمال كلمتي عـامـة وخاصة (بنصب التاء المربوطة المنونة) ، لان اللسان لا يجد صعوبـة في التلفظ بهما ، ولانهما دون (باء) ، والكلمة الصحيحـة المختصرة أبلغ من الكلمة الصحيحة ، التي تزيدها حرفا واحدا أو أكثر . فمـا هو رأي مجامعنا اللغوية الاربعة ، وعمالقة ادبائنا في ذلك ؟ .

كان بمثابـة الاخ

ويقولون : كان لي فلان بمثابة الاخ . والصواب : كان لي فـلان كالاخ لان المثابة تعني :

(١) المنزل ، لان سكانه يثوبون (يرجعون) اليه .
(٢) المرجـع .
(٣) مجتمع الناس بعد تفرقهم .
(٤) مبلغ تجمع ماء البئر .
(٥) ما أشرف من الحجارة حول البئر .

الثـرى

ويقولون : وقع على الثرى فعلق بثوبه الغبار . والصواب : وقع على التراب فعلق بثوبه الغبار ، لان (الثرى) هـو التراب الندي ، وليس للتراب الندي غبار . وفي الحديث : فاذا كلب يأكل الثرى من العطش ، أي التراب الندي .

رجـال ثقـاة

ويقولون : عندنا رجال ثقاة ، فيأتون بكلمة (ثقاة) مجموعـة جمع تكسير مثل (قضاة) و (نحاة) . والصواب ان تكتب بالتاء المبسوطـة (ثقات) ، لان مفردها (ثقة) لا (ثاقي) .

ثكنات الجنـود

ويجمعون (ثكنة) على (ثكنات) . والصواب : (ثكن) بضم الثاء وفتح الكاف . و (الثكنة) بضم الثاء وتسكين الكاف : هي فارسية الاصل ، ومعناها : مركز الاجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم ، وان لم يكن هناك لواء ولا علم .

و (الثكنة) أيضا : الراية والعلامة ، والجماعـة من الناس والبهائم ، وخص بعضهم بها الجماعة من الطير ، وقيل : السرب من الحمام ، وقيل أيضا بان معناها القلادة او القبر . وأكثر هذه المعاني استعمالا هو : مركز الجند .

صيدا ـ لبنان   **محمد العدناني**

أنت الهدى لشباب   أفاق من بعد سكره
ما زلت تحدوه ، حتى   غدا ، فحرر مصره
طه حسين .. سماء   وقمة مشمخرة
وشمس هدى .. على الافق تغمر الكون غمره
وبدر تم .. اذا ما   بدا .. تغيب المجره
وبحر علم .. خضم   وسائر الناس قطره
في الشرق والغرب ذكر   له ، ومجد ، وشهره
سما لذلك قدرا   فالكل يعرف قدره

لقد بلغت المعالي   وزدت عزما ، وقدره
وكم سقيت بغيث   تهمى غواديه ثره
أنت الذي جدد العصر .. حين جدد فكره
أطلقت رأيا جريئا   يلقى على الناس جهره
وكنت رغم اتئاد   كمن يحاول طفره
وملهما عبقريا   بالفكر يسبق عصره
في قلة من اولى الرأ   ي ، كلهم فاق دهره
كأنجم .. لحن خلف ال   مواصف المكفهره
لقلما أشعلتها   يد السموات .. جمره
وقلما أخرجتها   مناجم الارض .. دره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليوم يحتفل الدهر بالذي كان فخره
واليوم يعترف الشعب .. بالذي هز نصره
يلقى بعيد الثمانين .. نثره ، ثم شعره
فعاش طه سعيدا   وطول الله عمره

اتيت في العيد أهدي   الى معاليك .. زهره
فاقبل هدية نفس   بالفضل منك مقره
فما نسيت شبابي   وقد توليت أمره
في معهد جامعي   رحيت للدهر ذكره
لقد كفاني كتاب   فيه ، وتقليب فكره
وجلسة في هدوء   للعلم داخل حجره
وأنت تهدي من الجيل زمرة بعد زمره
هم قادة الفكر .. بعد ال   عميد ، يقفون أثره
ان يذهبوا في طريق ال   على يمينا ، ويسره
فهم بنوك جميعا   وهم جواليك كثره
وهم لعهدك راعو   ن .. يا أبا .. ما أبره
كعصبة النحل تبقى   جهودهم مستمره

القاهرة   عامر محمد بحيري



الدكتور محمد رجب البيومي

مدى التشاؤم عند شكري

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

نرى في تاريخ الادب العربي مقررات مخطئة لها قداستها الاثرية تظل تتردد في الكتب المتتابعة دون ان تجد من يعقب عليها بتمحيص ! وكأنها حق صادق لا مرية فيه ، فمثلا تجد من يزعم ان اغزل بيت قالته العرب هو قول جرير :

ان العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

ومع ان جريرا لم يكن من شعراء الغزل الصادق ، حتى يجيء بين قوله اغزل بيت قالته العرب ، ومع ان العصر الاموي الذي نبغ فيه جرير يحفل بعشرات من ارباب الصبابة الصادقة والهوى العذري ، وقد سارت اشعارهم مسير الشمس فرددتها الالسن وتناقلتها الافواه ومع ان البيت المقدم لا يعبر عن غير شعور بدهي يدركه السذج من السطحيين !.. مع ذلك كله فقد تناقلت الكتب القديمة هذا القول العجيب ، واخذ المؤلفون يطرونه كاتبا وراء كاتب حتى وجدنا بعض مؤلفي القرن العشرين يذكرونه في ابحاثهم مؤيدين مؤكدين ! واذا دل ذلك على شيء فانما يدل على سلطان التقليد ، وقداسة المحاكاة دون تنقيب .

وما نقوله عن هذه المقررات المخطئة عن جرير نجد نظيره في عصرنا الراهن فقد يتورط كاتب ما في تسجيل رأي لا يمت الى الحقيقة بسبب ، ثم يجيء خلفاؤه من بعده فيتناقلونه من بعده غير متكلفين بعض الجهد في توهينه وتخطئته وكأنه من حكيم لا يأتيه الباطل ، فقد ذكر الاستاذ الدكتور اسماعيل أحمد ادهم في خلال كتابه عن خليل مطران ان الاستاذ عبد الرحمن شكري قد تأثر بالخليل حين جنح في شعره الى التشاؤم ، ولم يكن الدكتور على صواب فيما زعم كما سنبين في هذا المقال ، ومع ان الاستاذ شكري قد كتب عدة مقالات بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٩ تنفي جنوحه الى التشاؤم ، ومع ان كثيرا من الكتاب قد تعقبوا الاستاذ ادهم فذكروا الامثلة الصريحة والشواهد الكثيرة ، ومع ان ارقى المجلات الادبية منزلة وانتشارا كانت ميدانا لهذا النقاش الطويل فقد ظل ما زعمه الدكتور حقيقة مسلمة لدى بعض الكتاب ، فتناقله المعاصرون منهم باحثا وراء باحث ، ثم جاء استاذنا الدكتور شوقي ضيف ليفرد بحثا خاصا عن تشاؤم شكري في كتابه « دراسات في الشعر المعاصر » قائلا في مطلعه :

« لعل مصر لم تعرف في عصورها المختلفة شاعرا متشائما ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفته في عبدالرحمن شكري ، وهو ممن تثقفوا ثقافة عميقة بآدابنا العربية والآداب الغربية ، وقد نشر سبعة دواوين بدأ بأولها في سنة ١٩٠٩ وانتهى بآخرها في سنة ١٩١٩ ، وكلها تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممض وكأن الحياة وكل ما يتصل بها محنة واسعة ، وهو يسلط مشاعره وافكاره على هذه الحياة لعله يستطيع ان يفهمها ويقهرها ، ولكن أنى له ، انها اقوى واعمق من كل فكر وشعور ، فيقلق ويشفق ويفزع ويشقى باشفاقه وقلقه وفزعه ، ويحاول ما وسعه ان يخلص من ذلك كله ولا يجد سبيلا الى الخلاص فقد تراكمت الظلمات من حوله ، واسودت الدنيا في عينه ، بل اسودت نفسه وتعقدت تعقدا شديدا يوشك ان يكون محنة » ..

ثم يقول الدكتور ضيف : أن مفاتيح هذه المحنة توجد في كتاب الاعترافات الذي نشره سنة ١٩١٦ وان المازني صاحب الفضل في بيان الصلة بين هذا الكتاب ومؤلفه الحقيقي شكري ، فقد كتب عنه مقالات في كتاب الديوان ، اظهر فيها العلاقة الاكيدة او الوثيقة بينه وبين الكتاب وانه اعترافات شخصية له ، اعترافات صريحة لا تحمل أي زيف أو تمويه » .

وانا شخصيا لا اتخذ ما قاله المازني حجة على شكري ، لان المازني قد اعترف بعد سنوات من كتابته بأنه ظلم شكري ظلما متحاملا ، وانه نسب اليه ما ليس فيه حتى وصفه بالجنون متصيدا دليله الموهوم من كلام لشكري تحدث فيه عن الجنون شعرا ونثرا ، فادعى المازني ان الرجل يتحدث عن نفسه ، لا انه يصف صورا من المجتمع رآها بعينه ، وتركت صداها في عاطفته ، فانطبع بها انتاجه الادبي . اما ما جاء من التشاؤم في

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الاعترافات فهو صدى هذه لانطباعات في فترة جثم فيها الاحتلال فقيد الامة وضيق مجال الفكر ، وجعل مستقبل البلاد مدعاة للتشاؤم والانقباض .

فالكتاب صورة مجتمع قبل ان يكون صورة انسان، ومهما اتصلت الوشائج بين الفرد وبيئته فله ذاتيته الخاصة التي تتوحد فيها ملامحه وانطباعاته وتأثيراته ، على ان في الاعترافات صفحات كثيرة تنطق بالامل والتفاؤل وهي بلونيها المختلفين صورة صادقة للابتسام والعبوس ، في أمة محتلة تتوق الى الاستقلال وتحلم به ، وشباب مقيد ينزع الى الفكر الوثاب ، ولا يمكن ان نغفل ما بها من اشراق وأمل ، لنقسرها قسرا قاهرا على ان تكون بتشاؤمها صورة حزينة لنفسية شكري وحده كما زعم المازني اولا ثم تنازل عنه اخيرا ، على ان ديوان الشاعر وقد صدر اخيرا مكتملا في مجلد ضخم يضم الى الاجزاء السبعةجزءا ثامنا جديدا هو الوثيقة الصادقة في الحكم الصحيح ، فلندرسه بامعان لنرى فيه جوانب التفاؤل والتشاؤم ، ولننظر هل انفردت صور اليأس كما يظن الدكتور الفاضل ، أو ان الديوان معرض فسيح يصور شتى الانطباعات دون ان يصطبغ بطابع خاص ! والحقيقة بنت البحث كما يقال .

ونحن لو تصفحنا دواوين الشعراء في كل لغة وجيل ، لوجدنا أكثرها ان لم يكن جميعها لا يخلو من زفرات حارة يرسلها الشاعر وراء أمل أو فشل خائب ، فكل انسان تعترضه العقبات في وقت ما فتباعد بينه وبين ما يرتجيه ، وإذ ذاك يرى الدنيا بمنظار قاتم ، ويخلو الى نفسه وقد ازدحمت خواطره اليائسة فيترجم عن احساسه العابس ويطلع على قرائه بقصيدة باكية تتشح بالكآبة وتتجلل بالسواد ، ومن ذا الذي خضعت له الايام فحققت جميع ما اراد فلم يرسل عبرة ساخنة وراء عزيز نازح او يصعد آهة لاهفة خلف مأرب بعيد ، بل ان اصحاب النفوذ من ذوي السلطان والرئاسة ليعانون من انواع الخيبة والفشل ، ما يصبغ نفوسهم بالقنوط ، فما ظنك بالشعراء وهم ضعاف الحول بعيدو الامال ، لذلك نجد جميع الشعراء دون استثناء يقنطون وييأسون في بعض ما ينظمونه من ابيات ، ومن المغالاة المسرفة ان نعتبر كل من قال شعرا حزينا متشائما قانطا ، وانما السبيل القويم ان نتصفح ديوان الشاعر جميعه ، فننظر الى طابعه العام فاذا وجدنا اللون البهيج يجاور اللون القاتم فعلينا ان نوازن بين اللونين موازنة عادلة ثم نصدر الحكم الدقيق بعد المقارنة والترجيح واذ ذاك لا نجد معترضا يعارض ، ويلج أبواب النزاع .

ولديك المتنبي وأبو العلاء ، اقدمهما مثلا صادقا لما أعنيه ، فالاول لا يخلو ديوانه من صرخات حادة تنزع الى التشاؤم المرير في مثل قوله :

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم

والثاني يصبغ أكثر قصائده بلون قاتم يبعث في الافق غيوما سوداء ، فلا ترى العين سوى القتام والظلام ، فهل يكون الشاعران متشائمين في درجة واحدة ! او ان المتنبي في طابعه العام يغاير صاحبه مغايرة تامة ! ان من الخطأ البين ان نميل بأبي الطيب الى التشاؤم المفرط لاجل ابيات متناثرة تسود بعض قصائده كما ان من الخطأ البين ان نميل بأبي العلاء الى التفاؤل لابتسامة مشرقة تلألأت في بعض ابياته ، وإنما الحق الصريح ان نجعل الطابع العام لدى الشاعر ميزان الحكم والترجيح ! واذ ذاك نقول عن المتنبي انه متوثب طموح، ونقول عن ابي العلاء انه متشائم يئوس !

وما نقوله عن المتنبي نقوله عن الاستاذ شكري ، فقد عبر الشاعر في بعض قصائده عن احاسيس يائسة مريرة ، ولكن هذه الاحاسيس في دواوينه الثمانية لا تبلغ ديوانا واحداً على حدته ! فكيف نتعلق بها وحدها غافلين عما يشيع في قصائد الشاعر من تفاؤل بمستقبل الانسانية ، وهيام بتمجيد المثل الرائعة لتكون مناط الاحتذاء ، وعاصما من الاهوال والشرور ، وليست المسألة مسألة حسابية تقدر فيها القيم بعدد الصفحات فقد تبلغ قصيدة واحدة في موضوع معين ما لا تبلغه عشرات القصائد ! ولكننا نميل الى هذا المقياس الكمي لنصل الى الحق من اقرب طريق .

ونحن لا نجهل ان الشاعر — كائنا من كان — يتعرض لتصوير حالات النفوس الانسانية على اختلاف منازعها ، فلا بد ان يرسم النواحي الباسمة والقاتمة معا فيما يشاهد ويلمس ، ولو اقتصر على ناحية واحدة لم يبدع لقارئه نموذجا كاملا يرتضيه ! فعليه ان يتغلغل ويتعمق ليصل الى أغوار النفوس فيكشف ما يضطرم بها من احقاد وضغائن او ما يشرق في بعض جوانبها من محبة وطمئنان ! ولو لجأ متحدث عن الروح البشرية الى عرض النوازع الباسمة المؤتلقة وحدها في دنيا تعج بالشرور لكان مزورا في فنه ! اذ ان الناس هم الناس ، وكل تصوير لنوازعهم المريضة لا يعد من التشاؤم بحال ، الا اذا عد المصور الفوتوغرافي متشائما لانه اخذ منظرا واقعيا لحريق يلتهم قرية او سيل يكتسح مدينة ! وذلك ما لا يقال .

ومن المحتم كما يقول الاستاذ شكري في بعض مقالاته عن التفاؤل والتشاؤم بالرسالة ، ان نفرق بين أثر الحالات العارضة الزائلة وبين النظر الى مستقبل الانسانية ، وان نباعد بين التشاؤم الذي هو تثبيط والتشاؤم الذي هو استحثاث للهمم ، ومعنى هذا الكلام أن الشاعر لظرف ما قد يضطر الى أعلان يأسه في لحظة من لحظات الحرج والضعف ، فلا يعد ذلك الاعلان الطارىء دليلا على عدم الثقة بمستقبل البشر في الحياة بل أن الامر لا يعدو التعبير عن خاطرة تختلج قليلا ثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنقشع انقشاع السحاب ، والشاعر ليس واعظا حتى يرسم المثل في جميع ما يقول ، ولكنه مصور ، وقد تقع عينه على صورة شاحبة فيصورها كما كانت لا كما ينبغي ان تكون ! هذا وقد يكون التشاؤم تثبيطا وتيئيسا كما في أكثر شعر ابي العلاء ، وهذا ما لا نجده في ديوان شكري مهما صور وشخص بل نجد الدعوة الملحة الى استحثاث الهمم ، واعتلاء القمم في رفعة وطماح .

ويجب ان نفرق مرة ثانية بين التشاؤم ممارسة والتشاؤم فكرة ، فصاحب التشاؤم الاول اناني ضيق الافق ينظر الى ذاته الخاصة فاذا عز عليه مطلب ما ناح واعول ، وظن الحياة سجنا لا يطاق ، ومن هؤلاء شعراء الشكوى من البؤس وتعس الحظ وتأخير الترقيات ! ولا نعلم ان للاستاذ شكري في هذا المضمار خطوة واحدة ، اذ ان نظرته انسانية عامة تتغلغل في ماضي الوجود وحاضره ومستقبله ، ثم تصدر احكامها شاملة فسيحة ، فاذا وقع في شيء من التشاؤم فهو التشاؤم الفكري الذي يشمل الحياة من الازل الى الابد وهو على قلته يستهدف نوازع سارة مشرقة تنفجر منه كما ينفجر الضوء عند الفجر من ظلام الليل الحالك ، ونرتكب كثيرا من الاسراف لو ذهبنا نستعرض الوانا وضيئة من قصائد شكري في التفاؤل البهيج والثقة المطمئنة بالحياة ، ولكننا نضع أمام القارىء عناوين هذه القصائد الرائعة وله ان يرجع اليها في ديوانه الجامع الحفيل متى يشاء ، ولا نظن انسانا يقرأ قصائد (١) العصر الذهبي (٢) نحو الفجر (٣) شهداء الانسانية (٤) الشباب (٥) مناجاة الامل (٦) الباحث الازلي (٧) النجاح (٨) فن الحياة (٩) بين الحق والحسن . وعشرات غيرها ثم لا يدرك ايمان شكري العميق بمستقبل الحياة وجهوده الموفقة في رسم طريق وضيء للانسانية يصل بها الى جنة خضراء ذات ظل وارف وثمر لذيذ .

كما اننا ندرك نزعة التفاؤل في قصائد كثيرة لم تكن فكرتها الاصيلة مجالا للحديث عن الامل والحق والخير والجمال ، وانما تطرق شكري الى تفاؤله مدفوعا بنظرية الانسانية العامة وكان في مقدوره ان يبتعد عنها في حديثه لو مال الى التشاؤم كنزعة تملك عليه حواسه كما يزعم بعض الباحثين ولكنه يعمد لاشعوريا الى ترجمة خواطره الباسمة المتفائلة ، مما يؤكد تغلغل هذه النزعة في أعماقه ، فقصيدة مناجاة الامل مثلا مليئة بالتفاؤل وهو غير مستغرب في موضوع كهذا الموضوع يهدف الى تصوير الاحلام العذبة والاماني السعيدة ، ويمكن ان يقول بعض الناس ان طبيعة الموضوع توحي بالتفاؤل ولكن ماذا يقول القائل في قصائد مثل (١) النشوء والارتقاء (٢) الابد في ساعة (٣) المجاهد الجريح (٤) الملأ الأعلى (٥) جهاد المصلحين (٦) البطل المنتظر (٧) الايمان بالقضاء (٨) الحياة والفنون (٩) مصارع النجباء (١٠) الحسن مرآة الطبيعة وكلها مع ما يشابهها تتطرق الى الحديث عن الخير والشر حديثا يشف عن نفسية متفائلة باسمة ، وكل من يراجعها مراجعة يحفظ للشاعر مكانه في ركب المتفائلين .

واعجب ما استوقفني في حديث الاستاذ الكبير شوقي ضيف عن تشاؤم شكري هو استشهاده بأبيات موضوعية لا تمثل روح الشاعر كدليل على تشاؤمه ! فللشاعر مثلا قصيدة تحت عنوان « المجرم » يصور فيها نفسية المذنب وتوجسه الرهيب مما سيؤاخذ به من عقاب ! ومن البديهي ان يكون هذا المجرم الذي يتوقع قبضة العدالة ما بين لحظة واخرى اميل الى التشاؤم والقنوط ، وادنى الى الجزع والفزع ، وشكري اذا صور نفسيته القلقة الجزعة انما ينقل ما يراه في دنيا المذنبين من حيرة واضطراب ! فكيف يجوز لاستاذنا الكبير شوقي ضيف ان يجعل من وصف شكري الموضوعي للمجرم وصفا صادقا لنفسية شكري وحده ، وهل يتحتم ان يكون مؤلف الرواية هو بطلها الذي يكون في قصة ما قديسا طاهرا وفي قصة ثانية شيطانا ماردا حتى يكون جميع ما ذكره شكري في تصوير هؤلاء الناس صورة له وحده ! ان الاستاذ شوقي ضيف وامثاله ممن يستشهدون بمثل هذه الصور الموضوعية لا الذاتية انما يبعدون عن الحق كثيرا فيما يصدرون من احكام ، وهم بعد ليسوا في حاجة الى من يوضح لهم خطأ هذا الاستشهاد ، فيفرق لحضراتهم بين الذاتية والموضوعية لدى الشعراء .

وقد خطر لي ان املأ بعض الصفحات بأبيات الشاعر كدليل واضح لما اقرر ، ولكن شعر شكري من التماسك والالتصاق بحيث نجد صعوبة قاسية في استقطاعه وتجزئته ، اذ ان وحدة القصيدة لا تظهر في صورتها المتماسكة لدى شاعر معاصر ظهورها في قصائد شكري العظيم ، وقد اباح هو لنفسه أن يستشهد ببعض أبياته المجزوءة في مقالاته بالرسالة والمقتطف ! ولكننا لا نستبيح ما استباح ، ولا نريد ان نكون ملكيين اكثر من الملك نفسه حين نحرم ما احل بل اننا نحافظ على وجهة نظرنا الخاصة حتى لو خرج عليها صاحبها الاصيل .

ولو اردت ان الخص جميع ما تقدم من سطور معدودة لقلت ان الرجل قد تفاءل في شعره كثيرا وتشاءم قليلا ولكنه يصور بعض نواحي المجتمع بما يكافح به من مكايد واهوال ، وربما مرت به لحظة عابسة فعبر عنها في شعر عابس يستخرج منه العبرة دون ان تمتد هذه اللحظة فتسيطر على حياته كما وهم بعض الباحثين ، اما تفاؤله الفسيح فمعرض بهيج ناضر يحفل بشتى الالوان الزاهية، ويفرش الطريق بورود متفتحة تساعد على المسير وتدفع ركب الحضارة الى التقدم في الميدان الرحيب ! وديوانه الحافل مطبوع في حلته القشيبة وهو — أولا واخيرا — دليلنا الواضح وحجتنا البيضاء .

الفيوم — ج٠ع٠م **محمد رجب البيومي**

الفقيد الدكتور مصطفى جواد

نصبت فروع النعي البلادا ... وجلل خطبك الجلل السوادا
نعى ناعيك طود حجى تداعى ... وفي عصف المنون هوى ومادا
فيا لرزية فيها فقدنا الـ ... حبيب المصطفى العلم الجوادا
نعيت ابا الجواد فكل بيت ... لهول الرزء قد لبس الحدادا
نعيت فكل قلب شب فيه ... ضرام الحزن واتقد اتقادا
يمينا بالمروءة وهي مما ... عرفنا فيك ، اثكلت العبادا
يمينا بالكرامة وهي مما ... عهدنا فيك نبلا واعتدادا
وبالخفرات من غرر السجايا ... تسامت عفة وعلت جهادا
لقد اورثت ام الضاد يتما ... فعزت احرف الكلمات ضادا
لانك للعلوم اجل كنز ... برغم الموت لا يشكو النفادا
وبحر للمعارف كل بحر ... يهون لديه غورا وامتدادا
وينهل من معينك واردوه ... جماعات اتوه ام فرادى
وانت معلم الاجيال تهدي ... طلائعها وتمنحها الرشادا

رفيق الليل اذ رقدت عيون ... تنادمه وتطرح الرقادا
وليس بليلك الساجي سمير ... سوى كتب بها تهوى السهادا
وغير بنات افكار عذارى ... تعد لها الصحائف والمدادا

اليك ابا الجواد ابث شكوى ... فؤاد ليس يحتمل البعادا
يعاودني من الماضي ادكار ... كأن الامس في ذكراه عادا
ومثل لي اويقات بها قد ... تساقينا المحبة والودادا
وان حديثك الحلو الموشى ... لاشهى للمسامع ان يعادا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمين مروع في جانحيه ... لقد اورت فجيعتك الزنادا
يقلب جانبيه على قتاد ... فيقطع ليله قلقا سهادا
عرفتك مثل ذوب الغيث طهرا ... وكالحمل الوديع زكا فؤادا
حرصت على ضميرك وهو حر ... لغير الحق لا يرضى انقيادا
وسرت كسيرة العلماء حقا ... بنهج فيه مثلت السدادا
وعشت كما رحلت ولم تزود ... بغير العلم انعم فيه زادا
وما ارخصت نفسك للدنايا ... (هي العنقاء تكبر ان تصادا)
وخير الناس انفعهم واعلى ... مقاما من بنى مجدا وشادا
عجبت لراميات الدهر ترمي ... من الافذاذ انصعهم تلادا
وقد قالوا النفوس كجوهرات ... ومنها الموت يختار الجيادا

ستحيا في ضمير العلم يا من ... اقمت لصرح نهضته العمادا
ويبقى خالدا اغلى تراث ... وقد اضناك جدا واجتهادا
وروت قبرك الزاكي دموع ... تسيل من الاسى تحكي العهادا

بغداد

باقر سماكة

القضية الاولى



بقلم محمد سيرجية

العمل الاول الذي يقوم به المرء في حياته العملية ذكرى ترف بين شطآن خياله مؤرجة بالشذى ، وتشدو في عزيمته بسمة حانية براقة الجفون .

ولكنها غريبة وقاسية ذكرى بداية اعمالي : انفجرت كنبع الماء البارد في حقل الصيف ، ثم مارست برودتها في الشتاء تتسرب الى عظامي . لم يكن امامي سوى طريقين ، عزفت عن الاول والتجأت الى الثاني . وهأنذا الان اكابد من الندم الذي بات يؤرقني ويعذبني بقدر البهجة التي عانقتني ، ولذة النصر التي سخرتني ، والحلم الذي كنت اطير فيه، منذ سنوات مديدة .

تسلمت العمل القضائي في ١٩٤٤ ، وكانت مدينة حماة مسرح اولى الاوراق التي قطفتها من دالية حياتي الوظيفية . عهد الي ان اكون قاضيا للتحقيق . ومر يوم واحد . وفي اليوم الثاني وانا في شرود المستقبل جالسا أمام منضدتي ادخن الامس في لفافة تبغ ، جاءتني امراة عجوز تدعي انه سرق لها مائة ليرة ذهبية من خزانة كسرت وخلعت . فشعرت انني امام بداية العمل . وعينت للمراة موعدا لاستجوابها .

في الموعد المضروب اقبلت العجوز الى غرفة التحقيق وحيتني في خفر وهي تغض الطرف . سألتها :

ــ من تعتقدين انه السارق ؟

ــ لا اعرف .. ولا اقدر على ظلم احد .

بدا لي ان في قلبها من الطهر والايمان الشيء الكثير . وحكت لي ملامح وجهها حكايات ابدت ما يقول فمها من كلمات ...

صوت مطمئن ، براءة مجنحة ، ذبذبة واشعاع . اشياء قد عبرت الى مملكة النفس بلا استئذان .

(انني اجزم بصحة دعواها .. وأعجب للقلب كيف يرسو على ارض التصديق الكامل على حين لا دليل) .

سرني ايما سرور أن تلك المراة وهي تشرح لي قضيتها ، وانا اعيرها جوارحي آذانا ، قد ارتاحت نفسها ، وخفت وطأة الهموم في صدرها ، وشعرت ان مشكلتها قد انتقلت الي . مر قول الشاعر في خاطري طائرا افلت من قفصه :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواسيك او يسليك او يتوجع

وابتسمت ذكرتي هزها انشراح المراة ، وانبعثت منها لحية مدرسنا للغة العربية في المدرسة الثانوية وأسنانه اللامعة يخرج من بين كل سنين منها بيتا من الشعر او وعظا من النثر او حكمة مرتجلة .

وهززت راسي . واكدت للمراة ان العدالة لن تألو جهدا في كشف الحقيقة .

وفي اثناء الكشف على مكان السرقة ، لمحت انسانا يسترق النظر الينا من سطح داره المجاورة ، ويطل براسه كلما وجد انني لست متنبها اليه . وبدون ان اغير من وضعي قلت لشرطي كان بجانبي ان يدعوه الي . فحضر شجاعا غير مكترث ولا هياب . وانكر باستخفاف اي علم له بموضوع السرقة . على انني ما استطعت أن اقنع نفسي بما يقول ، وامضيت معه ساعات طويلة ، عبثا تمكنت فيها من الوصول الى بعض الحقيقة عن السرقة . كنت كمن يدق الماء . فتركته في المخفر . وعدت الى فندق ابي الفداء ، وفي الطريق انثر كآبتي وهمومي .

آه ، انها الجريمة الاولى التي احقق فيها ، اتبوُ بالفشل ؟ أتكون المرارة اول ما اجنيه في دنياي الجديدة ؟ أي شعور ، اي حدس ، اي حب للعدالة .. له ان يوفقني في العثور على المجرم مع الدليل ! .

دخلت الفندق ، وفيه شاهدت رئيس الشرطة ، وكان معي الشرطي المرافق للتحقيق ، فقص عليه الحكاية .

فقال رئيس الشرطة :

ــ ما دامت الدعوى في العدلية والتحقيق بطريقة « س و ج » فقد ضاعت الحرمة .

اجبته باحتجاج :

ــ ما العمل اذن ؟

ــ العصا .. ولا شيء غير العصا .

ــ ولكن ذلك ممنوع في القانون.

ــ اذا طبقت القانون ضاعت الجريمة ، واذا أستعملت العصا ظهرت . وليس من طريقة ثالثة .

عدت الى نفسي فالفيتني راغبا عن العصا . واخذت احقق في الجريمة بما نص عليه القانون.. غير انني انفقت عشر جلسات مع المتهم لم اعد منها بطائل . واذن ؟ ماذا بعد ذلك ؟

اخذ يتنازعني واجبان : اما ان استمر في الاساليب التقليدية للتحقيق فاضيع حق المسكينة ، واما ان اخالفها فأرتكب جريمة من اجل كشف جريمة . واخيرا غاب عندي واجب كشف الجريمة . فتركنا السارق في المخفر ثلاث ليلات لم ندع للنوم سبيلا اليه . وكنا كلما سرقه النوم القينا عليه كأسا من الماء ، حتى انحلت قواه . فطلب الى الشرطة ان احضر اليه . ولما اتيته اقر امامي ، ثم عاد الى الانكار ، ثم اقر ، ثم اخذت هذه الطريقة تؤتي اكلها رويدا رويدا كنت خلالها اعتصر

الى قمة المنحدر

★

أعدنـي الى قمـة المنحـدر ... أعدنـي فانـي ألفت الخطـر
ألفت المسير برغم الضباب ... ألفت الجماجم بين الحفر
ألفت الترقـب يا ملهمـي ... يحطـم فـي جمـود الحجـر
يذكرنـي بنـداء الحيـاة ... يضج برغم لهاث البشر

فاني سـئمت النعيم المقيم ... سئمت الركون لضوء القمر
سئمت الجمـال يعبد دربـي ... يدغـدغ حسـي بأسمى فكر
سئمت الوئام مـع الاخريـن ... سـئمت احتمالـي .....

أعدنـيَ الـى عـالم زاخـر ... بعنـف المشاعـر عنف الصور
هنالك قـد اسـتعيد كيانـي ... واغتال بين ضلوعـي الضجر

دمشق ... سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقيقة من لسانه اعتصارا .

وفي الليلة الرابعة حضرت الى المخفر حوالي المغرب ، وشرعت بالتحقيق معه ابتداء من هوادي الليل . ودمنا على تلك الحالة من الاخذ والرد ، والجزر والمد ، والاقرار والانكار ، حتى اقبلت تباشير الفجر ، وانسلخ النهار من الليل ، واخذت الشمس تتمطى وتتثاءب استعدادا لليقظة .

هنا بدا المدعى عليه بالانهيار ، وتحول الدم في عروقه الى سم . او بصق في فم افعى لقتلها .

اقر انه نزل من سطح دار الى سطح دار المدعية ، ثم دخل غرفتها وكسر الخزانة ، ووجد علبة زرقاء اسطوانية ، فمد يده في داخلها فأمسك بقماشة حمراء فيها مائة ليرة ذهبية ، مثقوبة احداها بما يشبه المسمار من طرفها . فسرق العلبة ، ورجع من حيث اتى ، ثم ذهب الى محطة حماه ، حيث الاعمدة الخشبية ، فأدار ظهره للمحطة ، وعد عشرة أعمدة ، ثم ادار ظهره لاخر عمود وسار نحو الجنوب مسافة تسع خطوات فحفر حفرة عمقها نصف متر في التراب ووضع العلبة وغطاها بالتراب والقى فوقها حجرة سوداء مستديرة .

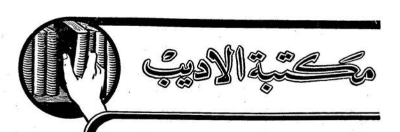
وعندما سمعت العجوز نتيجة التحقيق ، لم تتمالك نفسها (وتخلت عن وقارها) وبسطت يديها واخذت ترقص رقص الضحك والبهجة . وبعد تسجيل اقرار المتهم وتوقيعه عليه ، اخذت المتهم ليريني اثار قدميه في غرفة المدعية . قدته اثر ذلك الى المحطة وخرجت معنا العجوز وبعض افراد الشرطة .

وحينما وصلنا ، واخرجنا العلبة، ورأينا الليرات الذهبية ، فاجأنا ان العجوز اغمي عليها من فرط فرحها بعودة ليراتها .. وقد ترنح اللص واطرق اطراقة الذل والمهانة . اما انا فقد تملكتني نشوة لذيذة ، وسعادة سحرية رائعة . على انني - مهما يكن فرحي - لم ابلغ المرحلة التي بلغها ارخميدس عندما اكتشف قانون نقص الاجسام المغطوسة في سائل !!

نمت تلك الليلة مسحورا بنشوة النصر . وبالاماني امتزجت الرؤى . اية سنوات ستمحو ما نسجته الاحلام في قلبي !.. رأيت العدالة في الحلم فتاة طهر وجمال تصفق بجناحيها في وسط حديقة غلوية ، وتقول :

« انا العدالة ، لا اشرق بوجهي الا للاخيار» . وكنت كالفراش احلق في الاجواء المزهرة ، وأرى الكون كله قصيدة رحبانية ، تنشدها فيروز ، وعلى أنغامها يرقص الفلك .

حلب ... محمد سيرجية



فلسطين في ضوء الحق والعدل

تاليف المحامي هنري كتن ـ ترجمة وديع فلسطين ـ ٣١٦ صفحة ـ مكتبة لبنـان ـ مطابع هيدلبرج ببيروت

لو كان لمحكمة العدل الدولية فعالية ونفوذ ... وكانت لاحكامها صفة التنفيذ الفوري ... لقصدت لاهاي بهولندا جوا ، ووضعت أمـام قضاتها العدول النسخة الانكليزية من كتـاب « فلسطيـن ـ العـرب واسرائيل ـ البحث عن العدالة » لمؤلفه القانوني الضليـع الاستاذ هنري كتن وقلت لهم بلا مقدمات وذيول : « هذه خلاصة دعواي ... فاحكموا بالعدل ! » ولعدت الى بلدي وانا مطمئن على ان قضية العرب الكبرى ستأخذ طريقها الى الحق والعدل والانصاف !

وضع هذا الكتاب النفيس بالانكليزية الاستاذ هنري كتن وتطوع لترجمته الى العربية الكاتب البارع الاستاذ وديع فلسطين احد أعـلام أدبنا المعاصر بعنوان « فلسطين : في ضوء الحق والعدل » فكان موفقا في الترجمة الى أبعد حدود التوفيق !

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة نفيسة بقلم الاستاذ اكرم زعيتر جاء فيها قوله : « في المعارك الوطنية السياسية لا يكفـي ان تكـون صاحب الحق حتى تنتصر ، فلا بد لك من بيان هذا الحق ومن الدفاع عنه . وقد تبين المؤلف هذا الحق فأجاد ، ودافع عنه فأفاد ! » .

وبالاضافة الى هذه المقدمة القيمة هناك مقدمـــة اخرى بقلـم الاستاذ وديع فلسطين واربعة عشر فصلا وخاتمة واحد عشر ملحقا كتبها الاستاذ هنري بلغة القانون المعروفة ـ كما يقول الاستاذ وديع ـ بجفافها ... فحولها بذكائه وعلمه الى أدب رفيع ، بما اضفاه عليها من وشـي وزخرف ، وتناول فيها مأساة شعب لم يرو التاريخ مأساة أشد منهـا هولا ... وقضية وطن لم تذكر الاحداث قريبا وبعيدا صنوا لها !

تناول الاستاذ كتن قضية فلسطين من كافة جوانبها وابعادهـا ، واستند في بحثه الى المراجع الاجنبية ومنها اقوال بعض كتاب اليهود ومؤلفات عدد من مراقبي الهدنة والصحفيين البارزين ، وبرهن للعالم أجمع على « ان اسرائيل مخلوق غير شرعي وغير طبيعي .. وان اقحامه وسط خصم عربي كبير وفي قلب العالم العربي محض مغامرة جنونية تنذر بمزيد من الحروب والكوارث ... وكما ينبذ الجهاز الانساني جسما غريبا عنه ... فان العالم العربي نبذ هذه الدولة العنصرية !» .

واثبت الاستاذ كتن بالرقم والتاريخ ان مدينة « تل أبيب » كانـت تابعة لمدينة يافا العربية بينما كان اليهود لا يملكون في نهاية الانتداب البريطاني اكثر من ١. بالمئة من مساحة فلسطين .

كانت أغلب الكتب التي تناولت القضية الفلسطينية باللغة العربية لكن عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ نبه نفرا واعيـا من رجـال فلسطين الى ضرورة التصنيف باللغات الاجنبية ، واخصها الانكليزية ، فانبرى الاستاذ سامي هداوي الى نشر كتابه « الحصاد المـر » وتلاه الاستاذ هنري كتن بكتابه « فلسطين في ضوء الحق والعدل » وهو مكتبة في كتاب يضم الوثائق والمستندات ويضـع القضية الفلسطينيـة في صورتهـا الصحيحة التي زيفتها الدعاية الصهيونيـة وشوهتها الاقلام المأجورة ، والاقلام المغرضة. وعلى أثر صدوره قال مايكل ادامز الصحفي البريطاني المعروف كلمته الرائعـة « العـبرة البالغة في هزيمـة الخامس من حزيـران ١٩٦٧ انها بدلا من ان تغلق ملف قضية فلسطين ، فتحت دفتيه مـن جديد واظهرت ذلك الجهد الذي لم يكن قبل عـام ١٩٦٧ ، وهكـذا عادت قضية فلسطين الى مسرح الاحداث ! » .

ذكرنا فيما سبق ان كتاب الاستاذ كتن يشتمل على أربعـة عشر فصلا وخاتمة واحد عشر ملحقا ، وكان بودنا الوقوف امام كل فصـل وملحق ... اغراء للقارىء بمطالعة هذا الكتاب الماتع الذي وصفـه النقاد البريطانيون اثر صدوره بانه حقيقة اسهام كبير في البحـث عن « العدالة ! » لكن ضيق المجال في هذه المجلة الراقية حال دون هذه الامنية ... فوقفنا مليا امام موضوع السيادة على فلسطين ، واكبرنا الجهد الذي بذله المؤلف في صياغته ... فحلق في بحثه ، ودلـل بمفهوم المنطق على ان لفظة « السـيادة » فـي العـرف الشـائع تعني السلطة العليا لدولة ما على أراض معينة وعلى شـعبها ، بغض النظر عن شرعية اصلها ، ولكن السيادة تنطوي كذلك على مفهوم أرحب واعمق ، وهو الحق الشرعي الذي لا يجوز التفريط فيه لملك من الملوك او لامة من الامم في أرض من الاراضي والاحتلال القسري للوطـن او الفتح لا يطفئان شعلة السيادة ! .

وفي مستهل هذا الفصل ، ونعني فصل السيادة ، ركز الاستاذ كتن على التفريق بين السيادة القانونية والسيادةالسياسية لان الاخيرة تعني السيطرة والاشراف الواقعي ، بينما الاولى تشـير الـى الحـق الشرعي الذي لا يجوز التفريط به لشعب ما في ارضه . وهذا التفريق يقابله تمييز بين السيادة في القانون والسيادة في الواقع ! .

واختتم الاستاذ كتن بحثه الماتع الرائع بقوله :

« في اثناء سريان الانتداب ، تمتع شعب فلسطين بوضع دولـي مستقل ، وكانت له السيادة على أراضيه ، وكانت لفلسطين شخصيتها الخاصة المتميزة عن شخصية الدولة المنتدبة . وكانت ادارتها من حق شعب فلسطين نظريا ، وان تكن في الواقع في آيدي الدولة المنتدبة ، واصبحت طرفا (عن طريق نظام الانتداب) في عدد من المعاهـدات والمواثيق الدولية . غير ان الممارسة الكاملة للسيادة من قبل شـعب فلسطين قد قيدت في بعض النواحي بموجب سلطات الادارة المعهـود بها الى الدولة المنتدبة من قبل جمعية الامم .

وبمجرد انتهاء الانتداب ، انتهت سلطات الادارة التي كانت للدولة المنتدبة ، وترتب على هذا ان زالت القيود المفروضة على ممارسـة شعب فلسطين لسيادته الكاملة ، وبهذا اصبح شعب فلسطين بحكـم هذا الحق وبحكم حقه في تقرير مصيره ، مستأهلا لان يحكم نفسـه ويقرر مصيره طبقا للمبادىء والاصول الدمقراطية المألوفة ، والقاعدة الاولى الاساسية في أي نظام دمقراطي هي حكم الاغلبية . غير ان هـذا الحكم لم تحترمه الجمعية العامة للامم المتحدة التي اوصت في سـنة ١٩٤٧ في ظروف وتحت ضغوط سياسية بتقسيم البلاد بين دولتـين عربية ويهودية . وان الحوادث التي تلت ذلك ، وقيـام اسرائيـل ، أدت جميعها الى الحيلولة دون الشعب الفلسطيني ودون ممارسته حقه في السيادة على اراضيه ! » .

واخذ الاستاذ كتن يتساءل : « هل نشوء اسرائيـل واحتلالهـا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

أقاليم شتى في فلسطين في عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ حرم شعب فلسطين من سيادته ؟ وبعبارة اخرى ، هل ظفرت اسرائيل بسيادة قانونية على هذه الاقاليم ؟ » وهنا انبرى الاستاذ هنري الى بحث شرعية وضع اسرائيل او عدم شرعيته بالنسبة للاراضي التي تسيطر عليها ، وذلك فيما يتعلق بالاراضي التي خصصها قرار التقسيم للدولة اليهودية اولا وفيما يتعلق بالاراضي التي استولت عليها زيادة عما تضمنه هذا القرار ثانيا وراح يدلي بالحجج الفقهية والاسانيد القانونية على بطلان السيادة القانونية لاسرائيل على الاراضي التي خصصت للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم وان وعد بلفور لم يشتمل على منح لاي حق سيادة ! .

ومراعاة للزحام الذي تواجهه « الاديب » في المواد المتراصة على مكتبها نقف عند هذا الحد ... ونقول مع الاستاذ زعيتر في مقدمته « ان كتاب « فلسطين في ضوء الحق والعدل » مجموعة كتب في القضية الفلسطينية حشد فيه الاستاذ كتن مقتبسات مهمة الاساتذة اعلام من ساسة وفقهاء في القانون الدولي وتقارير رسمية لمراقبي الامم المتحدة وخبراء ثقات في الشؤون الفلسطينية ممن عالجوها رسميا ودوليا من اولئك الذين كتبوا في القضية ودافعوا عنها في كتب الفوها او مقالات انشأوها او تقارير محكمة قدموها ! » .

وخير ما نختتم به هذه العجالة العبارة التي قالها الاستاذ كتن : « على الامم المتحدة ان تفرض العدل بنفس الاسلوب الذي فرضت به الظلم على عرب فلسطين ! » .

وللاستاذ هنري كتن الف تحية من وطنه المغصوب !

والف ألف شكر من شعبه المغلوب ! .

عمان ـ الاردن — **البدوي الملثم**

•

رحلات الى العراق

تأليف السر واليس بج ـ ترجمة فؤاد جميل ـ جزءان ضخمان ـ طبعا في مطابع بغداد

الاستاذ فؤاد جميل كاتب ذو اسلوب عرف بنصاعة كلمه وفصاحة بيانه ، وقد نالت بحوث كثيرة من فضل يراعته من بينها الفولكلور البغدادي وفولكلور البادية العراقية .. وقد بات ممن يستانس برايهم في حل المسائل الفولكلورية الغامضة والوصول الى دقائقها الخفية عن الافهام .. وكان مما أصاب من فضل يراعته ـ أيضا ـ كتب الرحلات التي وضعت لتشرح زيارات قام بها الى بلاد الرافدين غير واحد من الرحالة الغربيين ...

لقد اولع الاستاذ فؤاد جميل بهذا الضرب من المواد الحضارية النفيسة ، فعكف على ترجمة فريق من ابرز ما ألف فيها .. وكانت «رحلات الى العراق» من بعض ذلك ، فكشف لنا المترجم في مترجماته ما دل على قابلية غزيرة العطاء ، ولغة سليمة الاداء ، وخصب في الذهن كانه خصب الربيع الخضل الندي ، وسيطرة على أرسان الترجمة التي هي عسيرة معسرة ـ باجماع التراجمة ـ بحيث باتت الالفاظ وهي طوع تصرفه وتحكمه .. وزاد المترجم على ما صنع المؤلف بالشروح والتعقيبات العلمية القيمة التي تمنح الكتاب غنى وتوسعه ثروة ، وتفك من غموض بعض ألفاظه ومصطلحاته فلا تخفى بذلك على قارئه خافية .

قرأت كتاب الرحلات بجزأيه الحافلين بمختلف المعلومات الاثرية والبلدانية وما في مطاوي حديث المؤلف من انطباعات وملاحظات ،

وألمت بذكريات نادرة دونها خلال تجواله في آفاق بلادنا العزيزة ، وكان كل اولئك حريا باصفاء الذهن وانصراف النفس ، والحفول التام بمتابعة صحف الكتاب وملاحقة خطوات المؤلف .. غير ان الشيء الذي كان يلتمع امام العين التماع النجم الحائر ، هو ذلك الاسلوب العربي الجميل الذي أفرغت فيه الترجمة فباتت وهي أشبه بمعرض بياني تبسط فيه اساليب القلم العربي ومظاهر ادائه الفني .. لقد استهواني هذا الامر كثيرا وانا ممن ينتعشون بالايقاع الذي يصاحب الحرف العربي ، فيجدون له شيئا لا يختلف عن الايقاعات الموسيقية .

وما من شك في ان معظم المترجمات العربية التي ضخت بها المطابع الى المكتبات فوصلت الى أيدي القراء العرب قد أدت الى اسلوب مغور في الركاكة .. ومن هذه الناحية باتت الترجمات العربية مصدرا من أشد المصادر الخطرة على البيان العربي ما لم تقع من اقلام عرف حملتها بالمقدرة العظيمة على تعاطي هذا الامر والالمام التام بدقائق العربية وما ينبغي ان يستعمل من مفرداتها في مقابلة الكلم الاجنبي الذي يراد نقله وترجمته ...

وفي اوائل هذا الجيل كانت مترجمات مصطفى لطفي المنفلوطي مدرسة لطلاب الادب العربي النقي فظلت آية على الترجمة الموفقة التي يمكن وصفها بانها تحمل طابعا قوميا اصيلا ، لانها ادت الى تثقيف الالسنة وتنقيح الاذواق وتحبيب العربية الى المتادبين والمحصلين ..

واليوم نجد في مترجمات الاستاذ فؤاد جميل هذا المعنى تماما .. فاذا كنا فيحاجة الىترجمة كتبالرحلات ـ وهي حاجة محتومة ـ فاننا لكذلك في حاجة الى أن نفرغ هذه التراجم في قوالب نقيـة فخمة الاسلوب عالية البيان ، من أجل ان ننتفع بالمعلومات العلميـة التي تحتجنها تلك الكتب ثم من أجل أن نعصم الاسلوب العربي من مدسوسات الكلم التي تجد السبيل فسيحا امامها للذيوع من طريق المترجمات .. وربما امكنني ان اقول ان المترجم وفق الى ان يكون له بترجمة الكتاب سهم في ملكيته عدل سهم المؤلف في ملكية كتابه .. وذلك بما بذله من جهد ظاهر في اخراجه بحلة يتباهى بها المؤلف نفسه لو كان ما يبرح حيا يرزق ، وبأسلوب شاعري يستهوي ذوي الحس الادبي من القراء العـرب ...

وفي مطاوي الترجمة واعقاب بعض السطور نجد الاستاذ المترجم يقحم الفاظا وعبارات مستملحة يطرف بها الموضوع ويعذب الحديث ، وربما استعان ببعض الفقرات القرآنية الكريمة التي يجيء الاستشهاد بها نابتا مستوفيا كل خصائص التعبير المطلوب ...

ومن بعض ذلك قوله في الحديث على سطو سطته عشائر شمر ـ يومئذ ـ على قافلة ثرية : « ثم عمدت بعد ذلك الى تشليح الرجال من ملابسهم وهم أذل منها وأقل عددا وسلبت كل ما يملكـون ـ وكذلك يفعلون ـ » .. على ان لغة المؤلف نفسه مشبعة باللذع والسخرية حين ينبغي ان يدور الحديث مشبعا بها في بعض الاحيان ...

وما اكثر دواعي هذه السخرية في عهد انفلت فيه مقود الضبط والروابط ، لا سيما في الموصل ونواحيها أيامئذ على ما يحدثنا « السر واليس بج » الذي يبدو على جانب من الحقيقة في كثير مما يسرد من الوقائع اليومية التي رآها عيانا .. وانا على فرض شكنا بما يكتب الاجانب عن بلادنا لا نملك ان نتهم بالكذب في كل ما يكتبون .. فان الكذب والدس لهما معالمهما وما يشف عنهما .. وبهذا ينبغي التمييز بين ما هو أهل للتصديق وبين ما هو أهل للتكذيب ..

ان كتاب « السر بج » جدير ان يكون مرجعا سياسيا لحقبة عراقية ما تزال تفتقر الى الاسهاب في شرح ظروف الحكم القلق المهلهل يومئذ ، وهو عهد دب فيه دبيب الفوضى وعظمـت مصيبة الناس بالخارجين على القانون والمستخفين بأمر السلطة ، تلك التي كانت هي كذلك قائمة على دعائم من الرشاوي والظلم والجهل بوجانب الحكم الرشيد السليم ...

ان ترجمة كتب الرحلات وبيان وجهات نظر الرحالة الاجانب في اوضاع البلاد التي يلمون بها ويزورونها ، لا تخلو من فوائد علمية ومتع طريفة وحقائق غائبة عن المدونين المحليين ..وانا لفي أمس الحاجة للاتيان على ترجمة كل ما كتب في هذا الحقل بأية لغة من لغات العالم ، ولقد كان من حسن حظ التاريخ العراقي ان وجدنا له مثل هذه المصادر التي دونت يوم لم يكن أحد يعنى بتدوين او يحفل بتسجيل .

ولقد تعرض للكتاب بعد ترجمته غير واحد من النقاد والمقرظين ، فاشاروا الى اوهام عرضت للمؤلف .. وشيء مما فات المترجم التنبه اليه في خلال تصويباته وتعليقاته .. وهذا امر طبيعي فما من كتاب يتصف بالعصمة من الخطأ والهفوات الا كتاب الله ..

ولقد لفت نظري شيء يسير مما يحسن ان أمر عليه بالتنبيه من الفاظ الاستاذ المترجم ومصطلحاته ، من نحو استعماله لفظا جديدا في جمع كلمة « باشا » اذ شاء ان يطرح الجمع الذي ألفته الاسماع وهو قولهم « باشوات » الى الجمع الذي يراه أصح واقوم وهو «البواشية» في حين ان الذوق الصرفي لا يستمرىء هذه الصيغة الجديدة في جمع الكلمة .. وفي تعليل الاستاذ نظر . فلو ابقى القديم على قدمه لكان ذلك أسلم واولى ..

وهنا كلمة أخيرة في صدد الكتاب وترجمته هي ان ترجمة كتاب « رحلات الى العراق » جاءت وفق طريقة اختطها المترجم لنفسه في غالب ما ترجم او جميعه ، وهي تتلخص في تفهم اغراض المؤلف غرضا غرضا ثم سبك ذلك بالقالب الذي يرى المترجم انه عدل الاصل لا يتحيف على معناه ولا يتزيد .. وهو يرى ان ذلك لا يخرج عن حدود التصرف في المبنى دون المعنى « لتجيء لغة الكتاب على أسلوب عربي سوي فصيح ».

ان على هذه الخطة ملاحظة واحدة ـ على حد تقديري ـ هي ان المترجم لا بد أن يضمخ الترجمة بشيء من انفاسه وانفعالاته وقد لا تكون هذه مطابقة تماما لانفعالات المؤلف ولا ملائمة لطراز تفكيره .. كأن يكون المترجم حسن المفاكهة اريحي الطبع ولا يكون المؤلف كذلك ، او يكون احدهما متزمتا وذا دخيلة نفسية غامضة دون صاحبه ، فتجيء تعابير الترجمة والفاظها وهي تنم عن طبيعة المترجم وليس عن طبيعة المؤلف ..

نظرة اجمالية

في الادب المهجري

تأليف عيسى الناعوري

خلاصة وافية موجزة للادب المهجري ، تساعد على تكوين فكرة شاملة مركزة ، وتساعد الطالب الثانوي ، بشكل خاص ، وبأقصر سبيل ، على تفهم الادب المهجري فهما صحيحا ، بكل خصائصه ومميزاته ، وعناصر التجديد فيه

لا يستغني عنه المثقف ولا الطالب الثانوي
في أي بلد عربي

يطلب من الناشر

مكتبة الاستقلال ـ عمان

ومن جميع المكتبات العامة في الاردن

ان الشيء الاساسي في هذا الامر هو وجـوب النص على مـدى التصرف الذي أصاب الاصل وان كان تصرفا محدودا بحدود اللفظ دون أي شيء غيره وبذلك يكون القارىء على بينة مما للمؤلف ومما للمترجم .. وانا ارجح التوقف في مثل هذا المذهب في الترجمة عند النطـاق الذي لا يمتد ابزيمه الى ما يجاوز اخر حلقاته .. وهـو ما احسـب الصديق العزيز قد راعاه ولاحظه ...

بكين **جلال الحنفي**

٥

دراسات في الادب المقارن والمذاهب الادبية

تاليف الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ بجامعة بغداد ـ ٢٥٠ صفحـة ـ حجم كبير ـ مطبعة الرابطة ببغداد

يجيز لي حينا بعد حين صديق العمر اديب الشرق البير اديب أن ارسل اليه بكلامي على كتب سوابق ، في اعوام غير لواحق ، كهذا الكتاب ، واطمع منه بابعد من ذلك ، اذ قد اكتب لديه عن كتب جـرى العرض لها باقلام ادباء اعلام . وما يضيرني هذا فان الكاتب مشبه عندي المصور يقتعد زاوية ليصور شخصا وقد يكون الى جانبه مصور اخر قد اتخـذ مكانه في زاوية مقابلة . فنحن نكتب عن الكتب في العرض والنقد وفي التحليل من الزاوية التي تقتعد غاربها .

واليوم أجدني قد لبست مطارف الفخر ، حين ورد علي جمع مـن كتب اديب العراق الجامعي الاستاذ الكبير الدكتور صفاء خلوصي وكنت أرسلت اليه بواسطة صديقي الاديب النابغ الاستاذ وحيدالدين بهاءالدين أشعارا فيها لزوم ما لا يلزم على طريقة صاحبي ابي العلاء المعري وصفـا له ولادبه فكان الجواب الكريم ورود هذه المجموعة الثمينة من كتـب الدكتور خلوصي وفيها هذا الكتاب الـذي اخترت عرضه لقرائـي فـي « الاديب » الاغر وقارئاتي وهو « دراسات في الادب المقارن والمذاهـب الادبيـة » .

وانا منذ وقفت على هذا النوع من الدراسة الحديثة الغربية فـي كتاب « الادب المقارن » لفان تيجم استاذ الادب المقارن في السوربـون بباريس بترجمة صديقي الدكتور السفير سامي الدروبي الذي اختصني عام ١٩٥٦ بنسخةمجلدة منه تجليدا متقنا وعلى عقبها اسمه ، قد احللت هذا الضرب من الدراسات محله من اعتباري ، ثم أهدى الي صديقـي فقيد الادب والجامعةالمصرية والخلقالمثالي الاستاذالدكتور محمدالغنيمي هلال كتابه « في الادب المقارن » فاصبحت أتعشق هذه الدراسة الشاملة التي ترتكز على عمادين وتكتب بقلمين وتعيش بروحين .

حتى اخذت ببهجة الاطلاع ودماثة البحث والدرس انظر في كتـاب الدكتور النابغ صفاء الخلوصي الذي أرى للقبه واسمه اثرا في ادبـه وفنه ، فقد وجدت كتابه « صفـاء الخلاصـة » في هذا الادب الحـي الحديـث .

وس احب ما يعلق بنفسي روح الاهداء في مطالع الكتب ، لاني أجد فيها مرآة الود وعنوان التوق الى المثل العليا ، فمن كاتب يهدي مؤلفه الى أمه فيثير في كامن الحزن على أمي التي فقدتها منذ اكثر من ثلاثين عاما ومن اديب يقدم كتابه لاساتذته ومعلميه فآخذ معه بطاطـاة الرأس لهؤلاء الذين صنعونا وابدعونا .

والدكتور خلوصي اهدىكتابه الى الادباءالمقارنين ليكونوا فاتحة عهد جديد في لقاح الادب العربي بالاداب الغربية .

وقد صدر كتابه بطائفة من البحوث بلغت مئة صفحة في كلامه على الف ليلة وليلة وقديما قيل في امثال العرب : « في منزله يؤتـى الحكـم » .

وكذلك فان المنزل البغدادي الاصيل الذي اطلع الدكتور صفـاء خلوصي حمله حملا لا طاقة له برده على ان يشمر لبحث اسرار الـف ليلة وليلة ، وهـو ابن بجدتها وجذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، كمـا تقول امثال العرب الاوائل ، فاذا به يبز المستشرقين في عنايتهم بحكايا الشرق النابعة من ضفاف دجلة والتي عاش عليها الادب العالمي يترنـح نشوة وهو يقرأ رواياتها ويترشفها من دارات الكرخ ببغداد ، فـاذا بالمؤلف الجامعي القادر ، يأتينا بدراسات هن ابكار في الادب المقـارن بين مسرحية « عطيل » لشكسبير وحكاية قمر الزمان . وقد تتبـع موضوع كتابه في منتصفه الثاني كلامه على المذاهب الادبية الغربية ، بالبحث الى عالم الشياطين ، كشياطين العرب في وحي الشـعراء وشياطين الادب الغربي كايميستوفوليس شيطان فاوست ، ثم اخـذ بالكلام على الادب الهجائي واسميه الهجاء الساتيري نسبة الى ساتير اله الشتائم عند الاغريق وقد وفق توفيقه في بحوثه باجمعهـا فـي الموازنات بين الاثار العربية والغربية في الادب المقـارن . ثم كـان موضوع كتابه في منتصفه الثاني كلامه على المذاهب الادبية الغربيـة ، فاذكرني بمحاضرتين كبيرتين قام بالقائهما استاذي ثم صديقي الدكتـور طه حسين مد الله بعمره الكريم وجلببه بكوامل الصحة ، كان القاهما في مدرج الجامعة المصرية بالقاهرة الخاص بكلية الاداب ، وكان عريف الحفل الاستاذ عبد الوهاب حمودة عليه رحمات الله ، وكان موضوع المحاضرتين ان للعرب ادبا كلاسيكيا يشبه الادب الكلاسيكي الفرنسـي والاوروبي ، ولما اتم محاضرتيه واراد لينهض في جـو من التصفيق الشديد ، أمسك بيده الاستاذ حمودة واوقف الحضور دون الخروج ، وصاح بصوت جاهر :

« أيها الملأ ، اشهدوا بان الدكتور طه حسين يعترف اليوم بوجود الادب الجاهلي والشعراء الجاهليين بعد ان انكر كل ذلك في كتابـه الشعر الجاهلي والادب الجاهلي » .

ولم يكن من الدكتور طه حسين الا ان اجاب بضحكة عريضة طويلة

صـدر حديثـا

اغـان من ارض كنعان

مجموعـة شـعرية

خليل خلايلـي

٥

منشورات دار الاجيال بدمشق

وخرج مشيعا كعادته بالتجلة والوفاء .

وحين شرعت في الاطلاع على هذا القسم من كتاب الدكتور خلوصي ظننت انه قد يقول بوجود مدارس ادبية في الادب العربي كالادب الغربي وانا كنت لا اقول بذلك حتى اليوم ، لكني وجدته يدلي بوصف عام لمدارس الادب الغربي كالمدرسة الابداعية التي كان زعيمها فيكتور هوغو وقد كنت منذ سنين متطاولة رددت هذا المذهب الى الشاعر كاتولوس الروماني اذ كان هذا المذهب من ابتكاره .

ومضى في وصف المذاهب الغربية حتى بلغ المدرسة الرمزية لبودلير وفيرلين ثم المدرسة السوريالية الحديثة ، وما الى ذلك من المذاهب الادبية المعاصرة الراهنة . وكم أرجو ان يتناول المذاهب اليومية التي سادت الان عالم الغرب في الفكر والادب كمذهب اللامعقول للكاتب ذي الاصل الروماني ايونيسكو والكاتب ذي الاصل الارلندي صموئيل بيكيت الذي نال جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٦٩ .. وليسلم قلم الصديق يافعة الجامعة البغدادية الاستاذ الدكتور صفاء الخلوصي ليديم التاليف والكتابة في الموضوعات الادبية المثلى ، وكم ارجو ان يحمل الى صديقي الاستاذ الكاتب النابغ وحيدالدين بهاءالدين تحياتي واني ساكتب عن كتابه الجديد « في الادب والحياة » ان شاء الله .

دمشق — **زكي المحاسني**

•

الشعراء وانشاد الشعر

تاليف علي الجندي ـ ١٦٨ صفحة ـ دار المعارف بمصر .

من دواعي الامتياز في حياة الادباء واثارهم ان يتحقق عندهم ما نسميه بالصدق الادبي والاخلاص الكامل لفنهم وتجويده بالعمل الدائب واجتراح التجارب الناجحة الامينة .. والاستاذ الشاعر المصري الكبير علي الجندي واحد من هذه النخبة الناجحة المخلصة ، تتصف كتاباته النثرية والشعرية بالاتزان والتوازن بين الاخلاص للقديم والتجديد الذي لا يبعد الى الضياع واختلال معالم الشخصية الادبية ، فهو عميد لكلية دار العلوم واستاذ الدراسات البلاغية فيها سابقا ، وشاعر مجيد رهيف الاحساس ، عاشق للجمال المطلق ، يتغنى بـه ، مع قوة في السبك وطلاوة في التعبير تمنحان شعره لونا من الامتياز الـذي ينفرد به .. واني لاذكر بالاعتزاز الذي ينفرد به .. واني لاذكر بالاعتزاز الاثر البليغ الذي تركته مقطوعاته الغنائية في نفسي يوم كنت في عهد اليفاعة ـ سقى الله ايامها ـ فقد كنا وقتئذ ، بتجاربنا الفضة وانفتاحنا المبكر على دنيا الشعر ، نهتز للخاطرة اللطيفة واللمحة الشريفة وناسى لشقوة المحب المفؤود ..

وكان من حسن الطالع ان يقع نظري على قصيدة عنوانها «الطفلان العاشقان » واحسب انها منشورة في مجلة « الكاتب المصري » ، في اواخر الاربعينات ، ولاول مرة اقرأ لشاعر الحب والجمال علي الجندي قصيدته تلك ، فاهتز لتجربتها اهتزازا ، وانعم بصداقتها اياما ، وما زلت الى اليوم ، وبعد ان اجتاحت ساحتي مرارات الدهر وحجرتني عذابات النفس حجرا ، احفظ شطرا من ابياتها واستظهرها تآسيا بتلك الايام الهاربة البريئة .. لكن هذا اللقاء الاول جرني بمرور الزمن الى التعرف على المؤلفات العديدة للجندي ، فازددت معرفة بادبه وغنى من تجاربه ولا سيما دراساته المنهجية والجمالية والبلاغية ومنها كتابه موضوع الحديث « الشعراء وانشاد الشعر » .

في هذا الكتاب تبرز حقيقتان ادبيتان : الاولى تشي بمقدار الجهد الذي بذله الكاتب الجليل في تجميع مادة الكتاب ، فلاول مرة ينبري دارس مختص للكتابة عن الشعراء وانشاد الشعر على هذا النسق المنهجي المتكامل ، والثانية : ان هذا العمل الادبي موثق بهدف معين ، فهو يفيد الشاعر والباحث الناقد ، ولكنه يفيد الشداة وناشئة الادب ، حتى يكونوا ـ بتعبير المؤلف ـ على بينة وهدى ، وحتى يعرف كل شاعر مكانه ، فيريح ويستريح ، ولا ينزلق الى ما يفيض منه وينزل بـه .

ولا يخفى ان بحثا كهذا لا بد له من ان يبدأ بتعريفات اولية تتعلق بمعنى النشيد في اللغة وقضية انشاد الشاعر شعره ثم تتوسع دائرة فصوله فيتحدث عن تهيؤ الشاعر للانشاد وعادات الشعراء في ذلك والشعراء المجيدين للانشاد والشعراء الذين لا ينشدون ، ويتحدث ايضا عن اثر عذوبة النغمة في الانشاد وحسن الهيئة والاشارة ، والى هنا ترى المباحث جميعها مرهونة بالشاعر والانشاد ، واما ما تبقى من الفصول فتشتمل على دراسة قضايا عروضية بحتة وان كانت لا توغل في علم العروض والقافية ايغالا عميقا .. وشان الكاتب هنا شأن المستانس بالقريب المفيد الذي يرغبه الحس الجمالي النقي الرافض لجفاف الدراسة العروضية الصرفة ..

ومن المواضيع التي طرقها المؤلف قضية اختيار البحور المناسبة والقوافي وتجنب حروف الروي الكريهة ، والتصريع في قصائد الانشاد وحسن المطالع والمقاطع ، وتجنب الزحافات الرديئة ، واختيار الالفاظ الشعرية ، ويختتم الكتاب بفصل مقتضب عن انشاد الشعر في غير قائله ، وما كنت احب لهذا الفصل الاخير اليتيم الا ان يضم الى اقرانه في النصف الاول من الدراسة ، فهو الصق بمسالة الانشاد ، ولا علاقة له من حيث النمو العضوي للمنهج بالعروض والقوافي .

واذا كنا قد وقفنا في هذه الالمامة مع الموضوعات التي طرقها الاستاذ الجندي ، فليس لنا الان الا ان ننصرف لما جاء في الكتاب من بعض الاراء التي تستحق الوقوف عندها لما فيها من اذواق شخصية

ديوان علقمة الفحل

شرح الاعلم الشنتمري

تحقيق الاستاذين

دربة الخطيب و لطفي الصقال

ويليه جملة مما لم يذكر من شعره
وفهارس مختلفة

•

منشورات دار الكتاب العربي بحلب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

معززة بخيرة الكاتب كشاعر مرهف واستاذ بلاغي مجود .. من ذلك حديثه عن الانشاد في العصر الحديث وعقد الموازنات بين الشعراء ، فمما قاله عن حافظ ابراهيم : « كان حافظ مديد النفس ، جهير الصوت ، يحسن اخراج الحروف من مخارجها ويعرف أين يقف ، وكيف يقف ، ومتى يجهر » . ويقول عنه : « انه كان كابن الخياط الدمشقي يستظهر شعره كله ، ويمارس انشاده منفردا قبل انشاده امام الشهود ويلقيه عن ظهر قلب .. » . ومما قاله عن علي الجارم : « وكان الجارم اندى صوتا من حافظ وعبد المطلب واحلى نغمة ، واعذب ترنما .. وكان مالكا لنفسه ، شديد الثقة بها ، عارفا انه سيسيطر على السامعين بحسن ادائه .. وقد ظل محتفظا بهذه السمات حتى ايامه الاخيرة ، وان ضعف صوته قليلا وفقد بعض رنينه » وجاء في ذكر ابي الوفاء رمزي نظيم : « انه كان ينشد بصوت مؤثر يعرب عن وجدان ديني وعاطفة صوفية عميقة .. فكان لادائه الصوتي المطابق لادائه النفسي ابلغ الاثر في السامعين » ..

والاستاذ الجندي حين يتحدث عن صديقه الراحل ابي الوفاء محمود رمزي نظيم ، فانما يتحدث عن خبرة ومصاحبة حميمة تنجلي رسومها في كتابه القيم عن ابي الوفاء والذي وقع في يدي اخيرا وباشرت في مطالعته مأخوذا بهذه العلاقة الادبية والنفسية التي ربطت بين الرجلين .. واما عن محمد حماد فيذكر الكاتب : « انه كان في انشاده فكها ظريفا ، مؤنسا ممتعا ، عذب النفس خفيف الروح .. فهو كحافظ شاعر لبق ، ومحدث ألبق ، يستقبله السامعون كما يستقبلون تحفة ظريفة شائعة تملأ نفوسهم سرورا وبهجة .. والحديث عن محمد حمام يقع تحت مظنة الاسى والالتياع ، فمنذ مدة قرأت ترجمة خزينة عن حياة هذا الشاعر والكاتب البارع والذي قضى حياته يدبج الخطب والمقالات السياسية لبعض الذين تزعموا الحياة الفكرية والسياسية فيما مضى ، وهو بعيد عن دائرة الضوء والشهرة ، فكانت حياته قسمة بين متاعب العيش وشقاء الغربة ، وان كان في سيرته الاجتماعية ظاهر الفكاهة وخفة الروح غير انه يخفي في جوانحه العذاب المر ...

وقد شاء الاستاذ الجندي ان يضرب صفحا عن ذكر الشعراء الاحياء لكثرة عددهم واشفاقا من اغفال بعضهم سهوا فيلحقه اللوم او العتاب ولكنه اكتفى بذكر اثنين منهم وهما المرحوم بولس غانم الذي كان حيا وقت تاليف الكتاب وعبد الله شمس الدين (الشاعر الرهيب) كما يدعونه ، ولكني لست أرى غضاضة في ذكر الاحياء بحسب ما يرد على الخاطر وتسعفه اللحظة ، ولا مدعاة للحرج والضيق ، وبخاصة ان المؤلف مشهود له بالحكم النزيه البعيد عن الهوى .

ويطيب لي هنا ان اذكر اثنين من الشعراء الشباب وهما احمد عبد المعطي حجازي وفاروق شوشة ، فلكل منهما ميزات خاصة في الانشاد الجميل ، ويحملنا الحق ان نضيف شاعر الحب والجمال علي الجندي فهو من المنشدين القلائل الذين يحسنون الاداء المنغم ، وقد قدر لي مرة ان اسمع الجندي عن طريق المذياع ، وهو ينشد في حفل حفيل قصيدة دالية رائعة ، فكان يتجلى في ادائه الجرس المتين والنطق المحكم ، على درجات من الانفعال عرف بها الشاعر حين تهزه طبيعة الموقف ودهشة الموضوع .. وليس كمثل الطبع الاصيل والبديهة النقية والذوق المرهف ، في تحديد قدرة الشاعر وانشاده ، والجندي يعول على هذه الامور ويرى في الاعتماد على العروض يقيد الشاعر المطبوع ، وانما يكون الاعتماد على الاذن ، وقد يسأله تلاميذه عن انواع البحور القصيرة التي نظم بها بعض شعره فيحيلهم على أساتذة العروض بالكلية ، فعلما الوزن والقافية ـ وان خصا الشعر وحده ـ ليست الضرورة داعية اليهما ، لسهولة وجودهما في طباع اكثر الناس من غير تعلم .. وهذه الالتفاتة الذوقية تمهد السبيل امام الشباب لخوض التجارب الشعرية بأذواقهم من غير ان يفرقوا في بحور الشعر والقافية ، فاذا ما وقعوا في خلل ، فسرعان ما يعودون الى الصواب بهداية حاستهم الفنية النافذة التي لا تسيغ النشاز ...

ومن الملاحظات النقدية الجديدة التي جاء بها الكاتب ، ان الرجز ليس بأسهل من غيره الا في نظم المتون واشباهها ، واما حين يتعلق الامر باغراض الشعر الاصيلة المتفجرة من قرارة الوجدانات ففيره اسرع واطوع ، لذلك يثقل عليه النظم منه ولم يخضه الا قليلا .. وفي مذهبي ان الرجز ، او كما يدعونه حجارة الشعراء ، عصي على استيعاب الوجدانات والعواطف المتلاطمة ، واحسب ان من نظم فيه ـ على قلة الناظمين ـ لهم قدرات خاصة وطباع اصالة مميزة قادرة على خوض التجارب الشعرية المنوعة ، وبذلك تسقط عن هذا البحر تلك الهالة من البساطة وسهولة الركوب ، وما هو في الحق ـ بالبحر الهين الدمث كما يقع في تصور الكثرة الكاثرة ..

واود في مختتم هذه المراجعة النقدية ان اقول كلمة حول الانشاد والمنشدين ، فقد كان من تمام البحث المنهجي لو ان الكاتب سعى الى بعض التحقيقات التاريخية يتناول فيها الامم التي تعلي من قيمة الانشاد كاليونان القديمة في ملاحمها الشهيرة ، او كما هو مرسوم في اناشيد الرعاة واغاني التروبادور وشعراء البروفانس ، لان مما يزيد في جودة الدراسة الادبية هو عقد الموازنات والمقارنات الجمالية مع تجارب الغير ، وبذلك تتحدد القيم الاساسية لطبيعة الانشاد وتتضح المكانة التي يحتلها من افئدة المتذوقين والسامعين ..

كما كنت ارجو لو تصدى الكاتب لذكر عثرات المنشدين وسقطاتهم، وابراز قيمة التعويل على الانشاد في المستقبل بعد ان اخذ الشعر المقروء يزاحم ذلك الشعر المغنى في المحافل والمواقف ، وفي ظني ان تجربة شاعرنا الكبير قادرة على الخوض في مثل هذه الموضوعات المتشعبة .. وتحية للاستاذ المؤلف على بحثه الرائد ، وجهده القاصد ، وصنيعه الذي لا يحد .

البصرة ـ العراق **عبد الرحمن على**

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

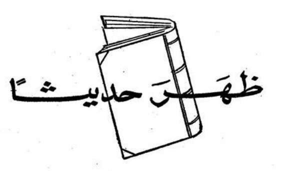
•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة



- ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الاخرى في منطقة الجزيرة ـ تاليف قحطان احمد عبوش التلعفري ـ ٥١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية على نشره ـ مطبعة الازهر ببغداد .
- الرجال تبكي بصمت ـ قصة ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٠ في سلسلة القصة والمسرحية ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .
- شعراء معاصرون في سورية ـ اعداد محمود ياسين « ابن الريف » ـ الغلاف بريشة ابراهيم قدري ـ ٢١٢ صفحة ـ مطبعة الضاد بحلب .
- ممر الى احزان الرجال ـ مجموعة قصص ـ تاليف لطفية الدليمي ـ الغلاف بريشة ضياء العزاوي ـ الخطوط بريشة الشاعر محمد سعيد الصكار ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع دار الجاحظ ببغداد .
- الماء في حياتنا وتراثنا ـ القسم الثاني ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٦ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ (طبع في دير الزور بسورية ولم يذكر اسم المطبعة) .
- المذاهب الاخلاقية الكبرى تاليف فرنسوا غريغوار ـ ترجمة قتيبة المعروفي ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطابع منشورات عويدات بيروت .
- الادب العربي الحديث ، دوافعه وافاقه ـ تاليف الدكتور علي شلق ـ ١٥٢صفحة ـ منشورات عويدات بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).
- فلسطيني كحد السيف ، من ادب المقاومة ـ مجموعة شعرية ـ علي فوده ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات بيروت ـ مطابع منشورات عويدات بيروت .
- روح هائمة ـ مجموعة شعرية ـ فلوري عبد الملك ـ تقديم احمد رامي ـ ١٩٦ ـ صفحة ـ الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطبعة بوسكو بالاسكندرية .
- مختارات من الشعر العربي الحديث ـ تاليف مصطفى بدوي ـ ٢٦٨ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مطبعة جامعة اكسفورد بانجلترا ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ مطبعة جامعة اكسفورد .
- ظهور وتطور الادب العربي في المهجر الاميركي ـ تاليف وديع رشيد الخوري ـ طبعة ثانية مزيدة منقحة ـ ١٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .
- يوم عاد ابي ـ قصص ومشاهد ـ تاليف رشاد دارغوث ـ الغلاف بريشة رضوان الشهال ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات بيت الحكمة بيروت ـ مطابع دار غندور بيروت .
- اتجاهات النقد الحديث في سورية ـ تاليف الدكتور جميل صليبا ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .
- الروح والخلود بين العلم والفلسفة ـ تاليف عبد العزيز جادو ـ تقديم الدكتور رؤوف عبيد ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ سلسلة اقرأ رقم ٣٢٦ ـ مطابع دار المعارف بمصر .
- يا مال الشام ـ تاليف سهام ترجمان ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مع عدة لوحات فنية ـ مطابع ادارة التوجيه المعنوي في وزارة الدفاع بدمشق .
- عنبر ورماد ـ تاليف سلمى الحفار الكزبري ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار بيروت ببيروت ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .
- رحلة الى الاندلس ـ تاليف ناجي جواد ـ ١٧٦ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .
- خواطر في الادب ـ تاليف موسى سليمان ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- مسلم الغد ـ تاليف الدكتور احسان حقي ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الاسلام .. والغرب .. والمستقبل ـ تاليف ارنولد توينبي ـ ترجمة الدكتور نبيل صبحي ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار العربية بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- عبر وعبرات من دمشق الاندلس ـ تاليف جواد المرابط ـ ١٩٨ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- النبوة .. اصلاح تقضيه رحمة الله ـ تاليف سعدي ياسين ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت .
- نحو ثورة سلمية ـ تاليف ابو الاعلى المودودي ـ ترجمة واعداد دار العروبة للدعوة الاسلامية في لاهور باكستان ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت .
- النقد الادبي حول ابي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري ـ تاليف محمد علي ابو حمدة ـ ١٠٤ صفحات ـ حجم كبير ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ابو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة ـ تاليف ممد علي ابو حمدة ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع دار القلم بيروت .
- اغان من ارض كنعان ـ مجموعة شعرية ـ خليل خلايلي ـ تقديم عمر ابو زلام المحامي ـ الغلاف بريشة مصطفى ارناؤوط ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات دار الاجيال ـ مطابع فتى العرب (دمشق) .
- الحرب يا عرب ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور علي شلق ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ببيروت .
- العادات والتقاليد العامية في سامراء ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ـ مطبعة دار البصري ببغداد .
- عبارات السلوك العامية في سامراء ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار البصري ببغداد .
- الازياء الشعبية في سامراء ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار البصري ببغداد .
- اقباس من اخبار العشرة المبشرة ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ٣٢ صفحة ـ مطبعة دار البصري ببغداد .
- اضواء على الاسلام او الاسلام في ينابعه ـ تاليف عبد العزيز بنعبدالله استاذ بجامعة القرويين والمدير العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ـ باللغة الفرنسية ـ ٨٢ صفحة ـ طبع برعاية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com